الجزء الاوّل

من كتاب المُوشّى تأليف

ابى الطيّب محمّد بن اسحٰق بن يحيى

السوشّاء

رحمة الله عليه

كتاب الموسى

تأليف ابى الطيّب محمّد بن اسحق بن يحيى

الوشّاء

رحمة الله عليه

فهرست الابواب

باب البيان عن حدود الادب وما يجب على الاباء من الفحص والطلب ٧

٢ باب النهى عن ممازحة الاخلّاء والنهى عن مفاكهة الاوّداء ١٢

٣ باب الامر باختيار الاخوان وانتخاب الاقران والاخدان ١٤

٤ باب الحثّ على صحبة الاخوان والاغراء على مودّة الخلّان والرغبة فى اهل الصلاح والايمان ١٧

٥ باب صفة المتحابّين فى الله عزّ وجلّ ٢١

٦ باب البشاشة بالاخوان والصبر على تألّف قلوب ذوى الاضغان ٢٣

٧ باب اتّفاق القلوب على مودّة الصديق وقلّة الخلاف على الرفيق ٢٥

٨ باب النهى عن استعمال الافراط فى حبّ الصديق ٢٦

٩ باب الامر باغباب زيارة الاحباب والنهى عن مداومة غشيان الاصحاب ٢٨

١٠ باب شرائع المروّة وصفتها ٣٠

١١ باب ما جاء من فضل الصدق لذوى الاداب وما كره من الكذب لذوى الالباب ٣٣

١٢ باب ما جاء فى قبح خلف المواعيد وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيد ٣٤

١٣ باب الحثّ على كتمان السرّ والترغيب فى حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر ٣٧

١٤ باب سنن الظرف ٤١

١٥	باب من مات من شدّة الوجد	٩٣
١٦	باب من وصف الحبّ وما فيه من شدّة المرارة والكرب	٩٧
١٧	باب ما فى معرفة الهوى وما كان اسمه فى البداية اوّلا	١٠١
١٨	باب ما سئل عنه اهل الصدق من تمام خلّات العشق	١٠٧
١٩	باب ما جاء فيمن تعفّف فى محبّته ورعى عقود عهود مودّته	١١٧
٢٠	باب صفة ذمّ النقيان ونفوذ حيلتهنّ فى الغنيان	١٢٣
٢١	باب ما جاء فى مصارمة ذوى الغدر والمبادرة عند الملل والهجر	١٣٣
٢٢	باب النهى عن الهوى والتعرّض لاسباب الضنى	١٤٧
٢٣	باب ذكر زىّ الظرفاء فى اللباس المستحسن عند سروات الناس	١٥٤
٢٤	باب زىّ الظراف فى التنكك والنعال والخفاف	١٥٥
٢٥	باب زيّهم المخصوص فى الخواتيم والفصوص	١٥٥
٢٦	باب زيّهم فى التعطّر والطيب الذى من خالفه كان غير مصيب	١٥٥
٢٧	باب فى متظرّفات النساء فى اللباس المخالف لزىّ الظرفاء	١٦١
٢٨	باب زيّهنّ المخالف لزىّ الرجال فى لبس التنكك والخفاف والنعال	١٦٧
٢٩	باب ذكر زىّ الظرفاء فى الطعام الذى باذوا به عن منزلة اللئام	١٦٩
٣٠	باب ذكر زيّهم فى الشراب الذى يتخيّره ذوو الالباب	١٧٢
٣١	باب ذكر الاشياء التى يتطيّر الظرفاء من اهدائها ويرغبون عنها لشناعة اسمائها	١٧٢
٣٢	باب ما قيل فى صفة الورد ومحلّه من قلوب ذوى الوجد	١٧٦
٣٣	باب ذكر التفّاح وما كره الادباء من اكله	١٧٨
٣٤	باب ما جاء فى السواك وما قيل فى عود الاراك	١٨٠
٣٥	باب صفة ذوى التظرّف ومباينتهم لذوى التكلّف	١٨٦

٣٦ باب ما اختير من الفاظ ... ات واستحسن من الظرفاء من مليح المعاتبات ١٥١

٣٧ باب ما ضمّنوه كتبهم من الاشعار وتكاتب به ذوو الظرف والاخطار ١٥٤

٣٨ وممّا ضمّنوه كتبهم من السلام وجعلوه تلوا للشعر والنظام ١٥٩

٣٩ باب ما كتبوه على العنوانات وسلكوا به سبيل المداعبات ١٦١

٤٠ باب ما يكتب على الفصوص ١٦٢

٤١ باب ما وجد على التفّاح من الالفاظ الملاح ١٦٥

٤٢ باب ما وجد على نيول الاقمصة والاعلام وطرز الاردية والاكمام ١٦٧

٤٣ باب ما وجد على الكرازن والعصائب ومشادّ الطور والذوائب ١٦٩

٤٤ باب ما وجد على الزنانير والتكك والمناديل ١٧٣

٤٥ باب ما وجد على الستور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد ١٧٦

٤٦ باب ما وجد على المناصّ والحجل والاسرّة والكلل ١٧٧

٤٧ باب ما يكتب على المجالس والابواب ووجوه المستنظرات وصدور القباب ١٧٩

٤٨ باب ما وجد للمنظرّات والظراف مكتوبا على النعال والخفاف ١٨٠

٤٩ باب ما يكتب بالحنّاء فى الوطاءة والوشاح وعلى الاقدام والراح ١٨٢

٥٠ باب ما يكتب على الجبين والخدّ ويطرف به ذوو الصبابة والوجد ١٨٣

٥١ باب ما يفلّج به التفلّج والاترجّ والدستبويات ويعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريّات ١٨٤

٥٢ باب ما يكتب على القناني والكاسات والاقداح والارطال والجامات ١٨٦

٥٣ باب ما يكتب على اوانى الفضّة والذهب ومدهون الصينىّ المذهّب ١٨٨

٥٤ باب ما يكتب على العيدان والمضارب والسرنايات والنشبول والمعازف والدفوف والنايات ١٩٠
٥٥ باب ما يكتب على الاقلام من مستنظرف الكلام ١٩٢
٥٦ باب ما يكتب على الدراهم والدنانير التي ضربت للملوك في المقاصير ١٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ يَسِّرْ وأَعِنْ بسم الله يكون الابتداء وبعونه يَتمّ الاشياء ومشيئته تتصرّف الدهور وعلى ارادته تتقلّب الامور ومنه التوفيق والتأييد وبيده الاعانة والتسديد ولا حولَ ولا قوّةَ الّا بالله وبتوفيقه ارشاده ۞

قال ابو الطيّب محمّد بن اسحق بن يحيى المُوَشّى

المؤلّف لهذا الكتاب وهو الكتاب المُوَشّى

نقول ونستعين بالله على السّداد ونستهديه ونستفتح له استفتاحَ اللاجئ اليه ونستكفيه ۞ يَجِبُ على المتأدّب اللبيب والمتظرّف الاريب المتخلّق بأخلاق الادباء والمتحلّي بحلية الظرفاء أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعلمه وقبل تعاطيه ما لا يفهمه تبيينَ الظَرف وشرائعِ المُروّة وحدودِ الادب فانّه لا ادبَ لمن لا مروّةَ له ولا مروّةَ لمن لا ظرفَ له ولا ظرفَ لمن لا ادبَ له،

وقد وصفنا فى كتابنا هذا على قدر ما بلغه علمُنا واحتوى عليه فكرُنا وجعلناه حدودا محدودة ومَعالمَ مقصورة وشرائعَ بيّنة وابوابا نيّرة وشريطتُنا على قارئ كتابنا الاقصارُ عن طلب عيوب خطائنا والصفحُ عن ما يقف عليه من اغفالنا والتجاوزُ عن ما ينتهى اليه من اهمالنا وان ادّاه التصفّحُ الى صواب نَشَرَهُ او الى خطاء سَتَرَهُ لانّه قد

تقدّمنا بالاقرار ولا بُدّ للانسان من زلل وعثار ونبيس دلّ الادب عرفناه . . . . . وعلينا فى ذلك الاجتهاد والى الله الارشاد وقلّ ما نجا مؤلّف لكتاب من راصد بمكيدة او باحث عن خطيئة وقد كان يقال مَنْ ألّف كتابا فقد استشرف واذا اصاب فقد استهدف واذا ما اصاب فقد استقذف، وكان يقال لا يزال الرجل فى فُسْحة من عقله ما لم يَقُلْ شعرا او يضعْ كتابا وقال الشاعر فى ذلك

لا تَعْرِضَنّ للشعر ما لم يكنْ علمُك فى أبحُره جِسْرا
فلَسْن يزالَ المرءُ فى فُسْحَة من عَقْله ما لم يَقُلْ شِعْرا

وأنشد فى ذلك

الشعرُ عقلُ المرء يَعْرِضُهُ والقولُ مثلُ مَواقع النَّبْل
منها المُقَصّرُ عن رَمِيّته وَنَوافِذٌ يُذْهِبْنَ بالخَصْل

وكان يقال اختيار الرجل قِطْعَةٌ من عقله فقال لا بل مَبْلغ عقله وقال بعضهم اختيار الرجل ..... وقال الخليل بن احمد لا يُحْسِن الاختيار الّا مَنْ يعلم ما لا يَحتاج اليه من اللّام، وقال الشَّعْبىّ العلمُ كثير والعُمْر قصير فخُذوا من العلم ارواحه ودعوا ظروفه، وقال ابن عبّاس العلم اكثر من ان يُحْصَى فخذوا من كلّ احسنَه، ونحن نستعين اللهَ ونوشّح كتابنا هذا جملةً من حدود الادب والمروّة والظرف ونجعل ذلك ابوابا مختصرة وفصولا محبّرة على غير نقص منّا لما فى كلّ باب لئلّا يطول به تأليفُ الكتاب والآن غَرَضُنا فى الاختصار لما عليه النفوسُ من مَلَل الاكثار ولِنَنْجوا من مقالة حاسد او اعتراض معاند على انه لا بُدّ للحاسد وإن لم يجد سبيلا الى وَهْن ولا سببا الى طعن أنْ يحتال لذلك بحسب ما رُكّبَ عليه طَبْعُه وتضمّنه صدرُه حتّى يَخلصَ الى غفلة او يصلَ الى زَلّة فيتشبّثُ بالمعنى الحقير ويتسبّبُ بالحَرْف الصغير الى ذكر المثالب وتغطية المناقب انْ من طبع اهل الحسد وأرباب المعاندة والنكد تغطيةُ محاسن مَنْ

حسدوه واظهار مساوى من عاندوه، وقد اخبرنى ابو جعفر احمد ابن عُبَيْد بن ناصح وبشر بن موسى بن صَالح الاسدىّ قالا حدثنا الاصمعىّ قال حدثنى العلآء بن اسلم قال حدثنا رُؤْبة بن العجّاج قال قصّرتُ وعرفتُ ثم قال لى يا رؤبة عساك مثلُ أقوامٍ إنْ سكتَّ لم يسئلونى وان تكلّمتُ لم يَعُوا عنّى قلتُ ارجوا أن اكون كذلك قل فما اعداء المروّة قلتُ تخبّرنى قال بنو عمّ السَوْء إن رأوا خيرًا ستروه وإن رأوا شرًّا اذاعوه،

انشدنى ابو العباس محمد بن يزيد المبرّد

عَيْنُ الحَسُود عليك الدهرَ حارسةٌ ... تُبْدى المَساوِىَ والأَحسانَ تُخْفيه
يلقاك بالبشر يُبْديه مُكاشَرَةً ... والقلبُ مضطغنٌ فيه الذى فيه
إنّ الحَسُودَ بلا جُرْمٍ عداوتُه ... فليس يَقْبَلُ عُذْرا فى تَجَنّيه

وانشدنى ابو جعفر فى مثل ذلك

إن يعلموا الخيرَ يُخْفوه وان علموا ... شرًّا أُذيعَ وان لم يعلموا كَذَبُوا

وانشدنى محمد بن ابراهيم القارئ

وتَرَى اللبيبَ محسّدا لم يجترمْ ... شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتومُ
حَسَدوا الفتى اذ لم ينالوا سَعْيَهُ ... فالقوم اعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائر الحَسْناء قُلْنَ لوجهها ... حَسَدًا وبَغْيًا انّه لَدَمِيمُ

وقال عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير

ما ضرّنى حسدُ اللئام ولم يزلْ ... ذو الفضل يحسده ذَوُو النُّقْصانِ
يا بؤسَ قومٍ ليس جُرْمُ عَدُوّهُمْ ... إلّا تظاهُرَ نِعْمَةِ الرَّحْمانِ

وخُبّرتُ انّ المنصور قال لبعض ولد المهلّب بن ابى صُفْرة ما اسرع الناس الى قومك فقال يا امير المؤمنين

إنّ العَرانِينَ تلقاها محسّدةً ... ولا ترى للئام الناس حُسّادَا
كم حاسدٍ لَهُمُ قد رام سَعْيَهُمُ ... ما نال مثلَ مَساعيهم ولا كادا

ويُروى ان عمر بن الخطّاب رحمة الله عليه كان يتمثّل

بهذين البيتين

قومٌ سِنانٌ أبوهمْ حين تنسبهمْ طابوا وطاب مِنَ الاولاد ما وَلَدوا
محسَّدون على ما كان من نِعَمٍ لا يَنزِع الله منهمْ ما له حُسِدوا

وانشدنا احمد بن عُبيد قال انشدنا العُتْبيّ عن أبيه

انّى نشأتُ وحُسّادى ذَوُو عَدَدٍ يا ذا المَعارِجِ لا تنقُصْ لهم عَدَدا
ما زِلْتُ أُقدِمُ أُفراسى مكلَّمةً حتّى اتّخذتُ على حُسّادهنّ يَدَا

وأُنشدتُ

كُلُّ العداوة قد تُرجا امانتُها الّا عداوةَ مَنْ عاداك من حَسَدِ

وبلغ محمّد بن عبدِ الله بن طاهر انّ قومًا من الموالى يحسدونه فقال

انْ يحسُدونى فانّى غيرُ لائمهمْ قَبْلى من الناس اهلُ الفضلِ قد حُسِدوا
فدام لى ولهمْ ما بى وما بهمِ ومات اكثرُهمْ غيظا بما يَجِدُ
انا الذى يجدونى فى صدورهمِ لا أرتقى صَعَدًا منها ولا أَرِدُ

وقال أَرْدَشيرُ بن بابَكَ كلّ خَصْلةٍ رَدِيّةٍ فهى دون الحَسَد لانّ الحَسود يسعى على من احسن اليه ويبغى الغوائل لمن انعم عليه وقال الاصمعىّ سمعتُ أعرابيّا ذكر بعض الحُسّاد فقال ما رأيتُ ظالما اشبه لمظلوم من الحاسد حُزْنٌ لازمٌ ونفسٌ دائمٌ وعقلٌ هائمٌ، وقال حاتم طىٌّ

يا كَعْبُ ما إن ترى من بيتِ مَكْرُمَةٍ الّا له من بيوتِ الشَرِّ حُسّادا

والتحرّزُ من الحُسّاد ما لا سبيلَ لنا اليه والتحفّظ من ألسنتهم ما لا نقدر عليه لكن أقول كما قال الشاعر

ما يضُرّ البَحْرَ أمسى زاخرًا أن رَمَى فيه غُلامٌ بِحَجَرْ

وأُصدّر كتابى هذا مستعينا بالله راغبا اليه بذكر الادب وصفته وما يحتاج الادباء الى معرفته وأُشفّعه بأشياء يستحسنها الأديب ويرغب فى دراستها الأريب وبالله التوفيق ☆

باب البيان عن حدود الأدب

وما يجب على الادباء من الفحص والطلب

اعلمْ انّ اوّل ما يجب على العاقل المنفصل بصفته عن الجاهل أن يتبعه ويميل اليه ويستعمله ويَحرص عليه مجالسةُ الرجال ذوى الالباب والنَظَرُ فى افانين الآداب وقراءةُ الكتب والآثار وروايةُ الاخبار والاشعار وأن يُحْسِن فى السؤال ويتثبّت فى المقال ولا يُكْثِرَ الكلام والخطاب إن سئل عمّا يعلمه اجاب وان لم يُسأل صمت للاستماع ولم يتعرّض لمكروه الانقطاع فقد رُوى فى الخبر المأثور أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال أعْقَلُ عالما او متعلّما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك والصمت احسن بالرجل من الهذر فى منطقه والكلام فيما لا يعنيه والتسرّع الى ما يكون على وَجَلٍ منه وقد قال بعض الشعراء

يَمُوت الفَتَى من عَثْرَةٍ بلسانه ... وليس يموت المرء من عَثْرة الرِجْلِ
فعَثْرتُهُ من فيه تَرمى برأسه ... وعثرته بالرجل تَبْرَأ على مَهْلِ

وقال ابو العَتاهِيَة

اذا كنتَ عن أن تُحسِن الصمتَ عاجزا ... فانت عن الابلاغ فى القول أعْجَزُ
يخوض أُناسٌ فى المقال ليوجَزوا ... وللصمتُ عن بعض المقالات أوْجَزُ

وقال ايضا

قد أفْلَحَ الساكتُ الصَموتُ ... كلامُ راعى الكلامِ قُوتُ
ما كلُّ نُطْقٍ له جوابٌ ... جوابُ مَا تَكْرَهُ السُكُوتُ

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من كان يؤمن بالله واليوم الاخرِ فلْيقل خيرا او ليسكت، وقال من صمت نجا وكان اعرابىّ يجالس الشَعْبىّ يطيل الصمت فقال له يوما لِمَ لا تتكلّم فقال اسمع لاعلمَ واسكتُ فاسْلَمَ، وقال ابو هُرَيْرَة ثمرة القلب اللسان وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام ما مُبدى علم القلب وجهله قال اللسان قال فابين يلزم الصمت قال عند من هو اعلم منكم وعند الجاهل اذا جالسكم وقال

بعض الشعراء

تعاهَدْ لسانَك انّ اللسان سريعٌ الى المرء في قتلهِ
وهٰذا اللسان بريدُ الفؤادِ يدُلّ الرجالَ على عقلهِ

وقال اخر

أَسْتِرِ النفسَ ما استطعتَ بصَمْتٍ إنّ في الصمت راحةَ للمَصُونِ
وٱجعل الصمت ان عَيِيتَ جوابًا ربّ قولٍ جوابُهُ في السكوتِ

وقال ابو العتاهية

لا خَيْرَ في حَشْوِ الكلا م اذا اهتديتَ الى عُيُونِهْ
والصمتُ اجملُ بالفتى من منطقٍ في غير حينِهْ

وقال لُقْمانُ لابنه يا بُنَيّ ان غُلبتَ على الكلام فلا تُغْلبنّ على الصمت فكن على ان تَسْمَع احرصَ منك على ان تقول انّي نَدِمتُ على الكلام مرارًا ولم اندم على الصمت مرّة واحدة، وقال ابراهيم بن المهديّ في هذا المعنى فاحسن

إن كان يُعجبُك السكوتُ فانّه قد كان يُعجبُ قبلك الأَخْيارَا
ولَئِنْ ندمتَ على سكوتك مرّةً فلقد ندمتَ على الكلام مرارًا
إنّ السكوت سلامةٌ ولَرُبّما زَرَعَ الكلامُ عداوةً وضِرارًا

فحقيق على الاديب ان يخزن لسانه عن نطقه ولا يرسله في غير حقّه وان ينطق بعلم وينصت بحلم ولا يعجلَ في الجواب ولا يهاجم على الخطاب وان رأى احدا هو اعلم منه نصت لاستماع الفائدة عنه وتحذّر من الزلل والسقط وتحفّظ من العيوب والغلط ولم يتكلّم فيما لا يعلم ولم يناظر فيما لا يفهم فانّه ربّما اخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب وكان فيه نقصه عند ذوي الالباب، وقد قال الأعشى الشَنّيّ فاجاد

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الفؤادِ لِسانُهُ اذا هُوَ أَبْدَى ما يقولُ مِنَ الفَمِ
وكَائِنْ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ زِيادَتُه ونقصُه في التكلّمِ

لسانُ الفتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فؤادُه فلم يَبْقَ إلّا صورةُ اللّحم والدّمِ

ومثله قول الاخطل ايضا

إنّ اللّسانَ من الفؤاد وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلا

واخبرنى ابو العبّاس احمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المُزَنىّ يُقِلُّ اللّسان فقيل له فى ذلك فقال لسانى سَبُعٌ إن تركتُه أكَلَنى وانشد

لسانُ الفتى سَبُعٌ عليه شَذاتُه فإلّا يَزَعْ من غَرْبِه فهْوَ آكِلُهْ

وما العِىُّ إلّا منطقٌ متبرّعٌ سَواءٌ عليه حقُّ أمرٍ وباطِلُهْ

قال ابو الطّيّب قوله شذاته اىْ حَدّه، وقال بعض الحكماء ألزَم الصمت تُعَدَّ حكيما كنتَ أمْ عليما، وقال الهيثم بن الاسود النخعىّ

من يستعِنْ بالصمت يوما فإنّه يقال له لُبٌّ نَهاه أصيلُ

وإنّ لسان المرء ما لم تكن له حصاةٌ على عوراته لَدليلُ

وكان يقال الصمتُ صونُ اللسان وسترُ العِىّ انشدنى احمد بن يحيى ثعلب للخَطَفَى بن بَدْرٍ

عجبتُ لأزْرَاءِ العَيِىّ بنفسه وصَمْتِ الّذى قد كان بالقول أعْلَمَا

وفى الصمت سترٌ للعيىّ وإنّما صحيفةُ لُبّ المرء أنْ يتكلّما

والعرب تقول عِىٌّ صامتٌ خير من عىٍّ ناطق، وكان رَبيعة الرأْى كثير الكلام فتكلّم يوما واكثر ثمّ قال لاعرابىّ عنده أتعرف ما العىّ قال نعم ما انت فيه منذ اليوم، وقال اكثم بن صَيْفىّ حتفُ الرجل بين لحيتَيْه، وانشدنى احمد بن عُبَيْد لابى محمّد اليزيدىّ

حتفُ امرئٍ لسانُه فى حَدّه او لَعِبِهْ

بين اللّهَا مقتلُه رُكِّبَ فى مُرَكَّبِهْ

وربّ ذى مَزْحٍ أُفِيتَتْ نفسُه فى سَبَبِهْ

ليس الفتى كُلّ الفتى الّا الفتى فى أدَبِهْ

وبعض أخلاقِ الفتى أوْلَى به من نَسَبِهْ

وكان يقال لسانك عبدك فاذا تكلمت صرت عبده وقال بعض الحكماء انا بالخيار ما لم اتكلم فاذا تكلمت صار الكلام عليّ بالخيار وقال اخر لساني في حبس بدني ما لم أطلقه على نفسي فاذا أطلقته صار بدني في حبس لساني وقال اخر الكلمة اسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها، وقال الشعبيّ انا على اتباع ما لم أوقّع اقدرُ منّي على ردّ ما أوقعتُ، وتكلّم أربعة من الملوك باربع كلمات خرجن لثلثين بمعنىً فقال كسرى انا على قول ما لم اقل اقدرُ منّي على ردّ ما قلتُ، وقال قيصر لا اندمُ على ما لم اقل فانما اندم على ما قلتُ، وقال ملك الصين اذا تكلمتُ بالكلمة ملكتني ولم املكها، وقال ملك الهند عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة ان خُيّبتُ عنه ضرّته وان لم تُذكر لم تنفعه، وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يَخزُن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزّان

وقالت الفلاسفة اللسان خادم القلب، وقالت العلماء اللسان كاتب القلب اذا أُملِيَ عليه شيئًا أتى به، وانشدني عُبَيْد الله بن عبد الله ابن طاهر

رأيتُ لسانَ المرء راعيَ نفسه وعاذرَه ان ليمَ او زلّ سائرُه
فمَن لزمتْه حُجّةٌ من لسانه فقد مات راعيه وأُفحِمَ عاذرُه

ولئن كان السكوت جميلا لقد جُعِلَ اللالُ جليلا ما لم يتعدّ المتكلّمُ في كلامه ويتجاوزْ في الكلام حدّ نظامه، وقد انشدني احمد بن يحيى ثعلب

ما في الكلام على الأنام أثمُ بل فيه عندي النقصُ والابرامُ
لولا الكلامُ لما تبيّنا الهُدَى وتعطّلتْ في ديننا الأحكامُ
فزِنِ الكلامَ اذا اردتَ تكلّما ودَعِ الفضولَ ففي الفضول مَلامُ
ان أنت لم تُرشِدْ أخاك اذا أتى فعليكَ منه هُجْنةٌ وأثامُ
والنُّطْقُ افضلُ من صُماتٍ مُنْتهمٍ جاء الكتابُ بذاك والاسلامُ

هذا البيان فلا تكن مُتَمارِيًا فالصمتُ عيٌّ واللسان نِظامُ
وليس بعيب على الاديب وان كان مستقلًّا بما لديه استحذاؤه للمتقدّم في العلم عليه ولا في سؤاله فيما غُيّبتْ معرفتُهُ عنه مَنْ هو اعلى درجةً في العلم منه، وانشدني احمد بن يحيى ثعلب

تَمامُ العَمَى طولُ السكوت وانّما شِفاءُ العَمَى يوما سؤالُك مَنْ يَدْرِي

وُروى انّ أعرابيّا أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يابن عبد المطّلب ما ذا يزيد في العلم قال التعلّمُ قال فما ذا يدلّ على العلم قال السؤال، انشدني احمد بن عُبَيْد قال انشدني ابن الأعرابيّ لِبَشامة ابن عَمرٍو المِزّيّ

اذا ما يَهْتدي لُبّي هُداني وأسألُ ذا البَيان اذا عَمِيتُ
وأجتنبُ المَقانع حيث كانت وأترك ما هويتُ لِما خَشِيتُ

وكان يقال من رقّ وجهه عن السؤال دقّ علمه ومن احسن السؤال عَلِمَ، وقال الشاعر

اذا كنتَ في بَلْدَةٍ جاهلًا ولِلعلم مُلْتَمِسًا فاسْأَلِ
فانّ السُؤالَ شِفاءُ العَمَى كما قيل في الزَّمَنِ الأوّلِ

ورُوينا عن يونس عن الأوزاعيّ عن يحيى بن ابي كَثيرٍ قال لا يتعلّم من استحيا وتكبّر، وقال رجل من بني العبّاس للمأمون ايحسن بمثلي طلب العلم اليوم فقال نعم والله لأن تموت طالبا للعلم أزْيَن بك من ان تموت قانعا بالجهل فقال الى متى يحسن بي وقد جاوزت الستّين قال ما حسنتْ بك الحياة، وقال الخليل ذاكرْ بعلمك فتذكر ما عندك وتستفيد ما ليس عندك، وقال الخليل ايضا كنتُ اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته، واخبرني احمد بن عُبَيْد قال اخبرني ابن الاعرابيّ قال اخبرنا ازهر السمّان قال قال الزُهْريّ الاخبارُ ذُكْرانٌ لا يحبّها الّا ذكران الرجال ولا يكرهها الّا مؤنّثوهم وقال الطِرِمّاح

ولا أدَعُ السؤالَ اذا تَعَيَّتْ علىَّ من الأمور المُشْكِلاتُ

وينفعني اذا استيقنت علمي وأقوى الشك عند البينات

فهذه جملة تحث الادباء على الطلب وصدر يقنع به العقلاء من حدود الادب، ومنه ايضا ترك ممازحة الاخوان اذ كان ممّا يوغر صدور الخلان وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة والفاظها متّعة فيها لك كفاية ولذوى الالباب نهاية ان شاء الله تعالى

٢ باب النهى عن ممازحة

الاخلاء والنهى عن مفاداة الاوداء

اعلم أنّ من زيّ الادباء واهل المعرفة والعقلاء وذوى المروّة والشرفاء قلّة اللام فى غير ارب والتجافى من المداعبة واللعب وترك التبذّل بالسخافة والصياح بالفكاهة والمزاح لانّ كثرة المزاح يُذلّ المرء ويضع القدر ويُزيل المروّة ويُفسد الاخوّة ويجترئ على الشريف الحرّ أهل الدناءة والشرّ وقد اخبرنى احمد بن عبيد قال اخبرنى الاصمعىّ عن رجل من العرب قال خرجت فى بعض ليالى الظلم فاذا انا بجارية كأنّها صنم فراودتها عن
١١ نفسها فقالت يا هذا أما لك زاجر من عقل اذا لم يكن لك واعظ من دين قلت والله ما يرانا الّا الكواكب قالت يا هذا فاين مُكوّكبها فقلت انّما كنت امزح فقالت

فإيّاك إيّاك المُزاحَ فانّه يُجرّى عليك الطفْل والدنَس النذْلا

ويُذْهِبُ ماء الوجه بعد وَضَانَةٍ ويُورِثُ بعد العزّ صاحبَه ذُلّا

وقال سليمان بن داود عليه السلام المزاح يستخفّ فؤاد الحليم ويُذهب ببهاء ذى القُدْرة، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه مَن اكثر من شىء عُرِفَ به ومن مازح استُخِفّ به ومن كثر ضحكُه ذهبت هيبتُه، وكان يقال لكلّ شىء بذْر وبذر العداوة المزاح، وكتب عمر بن عبد العزيز الى عمّاله أمنعوا الناس من المزاح فانّه يُذهب المروّة ويوغّر الصدر، وقال بعض الشعراء

مازِحْ أخاكَ اذا اردتَ مُزاحَا وتَوَقَّ منه فى المزاح جماحَا
فَلَرُبَّما مُزِحَ الصديقُ بمَزْحَةٍ كانت لبابِ عداوةٍ مِفْتاحَا

وقال عمر بن عبد العزيز امتنعوا من المزاح تسلمْ لكم الأعراضُ قال خَلَف ابن صَفْوان المزاح سباب النَّوْكَى، وقال محمود الورّاق

تَلْقى الفتى يَلْقى اخاه وخِدْنَه فى لَحْنِ منطقه بما لا يُغْفَرُ
ويقول كنتُ مازِحًا وملاعبًا هيهات تارُك فى الحشا سَتُسَعَّرُ
أَلْهبتَها وطَفِقتَ تَضحك لاهيًا عمّا به وفؤادُه يَتَفَطَّرُ
أَوَمَا علمتَ ومثل جهلك غالبٌ أنّ المُزاح هو السبابُ الأَصْغَرُ

وقال بعض الحكماء الخصومةُ تُمْرِض القلوب وتُنبّت فيها النفاق والمزاحُ يُذهب ببهاء العزّ، وحدثنى الباغَنْدىّ قال حدثنا الحميدىّ عن سُفيان عن ابن المُنْكَدِر قال قالت لى امّى يا بُنىّ لا تمازح الصبيانَ فتهونَ عليهم وقد كنت ادركت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، واوصى يَعْلَى بن ١٢ مُنَبِّه بنيه فقال يا بَنِىَّ ايّاكم والمزاحَ فانّه يُذهب بالبهاء ويُعْقب الندامة ويُزْرى بالمروّة، وقال مِسْعَر بن كِدام الهلالىّ لابنه

ولقد مَتَحْتُك يا كِدام نصيحتى فاسمعْ لقول أبٍ عليك شفيقِ
أمّا المزاحة والمِراء فدَعْهما خُلُقانِ لا أَرضاهما لصديقِ
انّى بَلَوْتُهما فلم احمَدْهما لمجاورٍ جاورْتُه ورفيقِ

وكان سعيد بن العاص يقول لا تمازحنّ الشريفَ فيحقد عليك ولا الدنىَّ فيجترئ عليك، وقد تواترتْ بالنهى عن ذلك الاخبار وتكاثفتْ فيه الاشعار ونعنى انّ ترك ما نهى عنه ذوو الادب من المداعبة واللعب اولى بذى النُّهْبة والأَرب، وقد يجب على العاقل الاديب أن ينتقى اخوانه ويتخيّرَ اخدانه ويفتّش عن الاصحاب ويجالسَ ذوى الالباب ويستخلصَ اهل الفضل واهل المروّات والعقل فانّها محنة الادباء وفراسة العلماء وانّما يُعرف الرجل باشكاله ويقاس بامثاله ويوسَم باخدانه ويُنسب الى اقرانه وقد شرحتُ فى ذلك جملةً من الآثار

وما رُوى فيه من النُّتف والاخبار فتقف عليه يبيّن لك ما فيه ان شاءالله تعالى ☆

باب الامر بآختبار الاخوان

وانتخاب الاقران والاخدان

رُوى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال آختبروا الناس باخوانهم فانّ الرجل يخادن مَن يُعجبه نحوه، وقال مجاهد انّى لأنتقى الاخوان كما انتقى اطايب الثمر، وقال بعض الشعراء

امحَضْ مودّتَك اللبيبَ فانّما يَرْعَى ذوى الأحساب كلُّ كريم
واخاءُ أشرافِ الرجالِ مروّةٌ والموتُ خيرٌ مِنْ إخاء لئيم

وقال يحيى بن اكثم

وقارِنْ اذا قارنتَ حُرًّا فانّما يَزين ويُزرى بالفتى قَرناؤه
اذا المرء لم يَختَرْ صديقا لنفسه فناد به فى الناس هذا جزاؤه

ورُوى انّ سليمان بن داوُد عليه السلام قال لا تحكموا للرجل بشىء حتّى تنظروا مَن يخادن، وقال عَديّ بن زيد العبادىّ

عنِ المرء لا تَسْأل وأبصِرْ قرينَه فانّ القرين بالمُقارِن مُقْتَدى
اذا ما رأيتَ الشرَّ يَبعث أهلَه وقام جُناةُ الشرّ للشرّ فاقْعُدى

وقال عُتْبة بن هُبَيرة الاسدىّ

إن كنتَ تبغى العلمَ او اهلَه او شاهِدًا يُخبِر عن غائبِ
فآختبرِ الارضَ بأسمائها وآختبرِ الصاحبَ بالصّاحبِ

وقال ابو العتاهية

مَن ذا الذى يَخْفَى عليك اذا نظرتَ الى قرينهْ
وعلى الفتى بطباعه سِمَةٌ تَلُوح على جبينهْ

وانشدنى احمد بن عُبيد لابى محمّد اليزيدىّ

ومَن يصاحبْ صاحبًا يُنسَبْ الى مُستصْحبهْ

بزائنات رُشْده او شائنات رِيَبِهْ
ورأسُ أمرٍ لأمرئ خبرٌ له من ذَنَبِهْ
وذو النُهَى ليست تبا عاتُ الهَوَى من أَرَبِهْ

وقال اخر

ولا تَصحَبْ اخا الجهل وإيّاك وإيّاهُ
فكَمْ من جاهلٍ أَرْدَى حليمًا حين آخاهُ
ولِلشيء من الشيء مَقاييسٌ وأشباهُ
يُقاس المرءُ بالمرء اذا ما المرءُ ما شاهُ
ولِلقلب على القلب دليلٌ حين يَلْقاهُ

وانشدني ابو العبّاس الشيبانيّ لابي آمِنَة جدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ١٣

واذا أُتيتَ جماعةً في مجلسٍ فاحْذَرْ مَجالسَهم ولمّا تَقْعُدِ
وذَرِ الغُواةَ الجاهلين وجهلَهمْ والى الذين يذكّرونك فاقْعُدِ

فلْيُوَاخِ الاديبُ اكفاءه وليصاحب نظراءه ومَن يأمن من غدره وغبّ أمره وبوائق شرّه وأنّى يكون ذلك ولن يجتمع الّا في اهل الحياء فانهم كرم الوفاء واذا اجتمع الحياء والوفاء صحّ الاخاء، وقد اخبرني مخبرٌ عن عبد الله بن طاهر انّه قال لا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إخاء له ولا إخاء لمن اراد ان يجمع بين اهواء اخلّاءه حتّى يحبّوا ما احبّ ويكرهوا ما كره وحتّى لا يرى من احد خللا ولا زللا ولا تفريطا ثمّ انشد

طلبتُ أمْرًا مَحْضا صحيحا مسلّما نَقيًّا مِنَ الآفات في كلّ مَوْسِمِ
لأمنحه وُدّي فلم أُدرِك الذي طلبتُ ومَن لي بالصاحب المُسَلَّمِ
صَبرتُ ومن يَصبرْ يجدْ غبّ صبره ألَذّ وأشهى من جَنَى النحل في الفَمِ
ومَن لا يَطِبْ نفسًا ويستبْقِ صاحبًا ويَغفرْ لأهل الوُدّ يُصرَمْ ويَصرِمِ

وقال محمود الورّاق

البَسْ اخاك على تصنّعه فلربّ مفتضح على النقص
ما كدتُ افحص عن اخى ثقة الّا تتبعتُ عواقب الفحص

وليصاحب نظراءه ومن يأمن غدره وغبّ امره وبوائق شرّه، وانشدنى محمّد بن يزيد المبرّد للمُطيع بن اياس

ولئن كنتُ لا تُصاحبُ الّا صاحبا لا تزلّ ما عاش نعلُه
لا تجدْه ولو حرصت وانّى لك بالخلّ ليس يوجد مثلُه

وقال يونس بن عُبيد اعيانى شيئان ابر فى الله ودرهم حلال، وقيل لبعض الحكماء من ابعد الناس سفرا فقال من كان فى طلب صديق يرضاه، وقال رجل للفضل بن عياض ابغنى رجلا احدثه سرّى وآمنه على امرى فقال تلك ضالّة لا توجد، وانشدنى المهلّبى لنفسه

البَسْ اخاك على ما كان من خُلُق واحفظْ مودّته بالغيب ما وصلا
فأطولُ الناس غمّا من يريد اخًا ذا خُلّة لا يرى فى وُدّه خللا

وانشدنى ايضا

أقسمتُ بالله لا يَنفكّ مغتفرًا ذنْبَ الصديق وان عقّا وان صرمّا
والعُمر يقصر عن هَجْرٍ وعن صِلَةٍ وعن تجنّى وعَتْبٍ يورث السقما

فتركُ مصارمة الخلّان والتجاوزُ عن هفوات الاخوان والاستكثارُ من الاخلّاء ورفضُ معاندة الاعداء اولى باهل الادب وذوى المروّة والارب واهل الفضل والحسب، وقد حكى الاصمعىّ قال سمعت اعرابيّا يقول لأخ له اى اخى انّ الصديق يحول بالجفاء وانّى اراك رَطْب اللسان من عيوب اصدقائك فلا تزدهم فى اعدائك، وقال عبد الله بن الحسن بن علىّ لابنه رضى الله عنه ايّاك وعداوة الرجال فانّها لن تُعدمك مكرَ حليم او مفاجأةَ لئيم، وروى انّ سليمان بن داوُد قال لابنه يا بُنىّ لا تستكثر ان يكون لك الف صديق ولا تستقلّ ان يكون لك عدوّ واحد، وروى انّ علىّ بن ابى طالب عليه السلام قال

وأكثرْ من الاخوان ما استطعتَ انّهم عِمادٌ اذا استنجدتَهم وظُهورُ

وليس كثيرًا ألف خلّ وصاحب وإنّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ

وليس شيء اسرّ الى ذي اللبّ ولا احسن موقعا فى القلب من محادثة العقلاء ومجالسة الادباء فانّ ذلك ممّا تُفتَّق به الاذهان وينفسح به الجَنان ويزيد فى اللبّ ويحيا به القلب كما قال بعض الشعراء

وما بَقِيَتْ من اللّذّات الّا محادثةُ الرجال ذوى العُقُول

وقد كُنّا نَعُدُّهمُ قليلًا فقد صاروا أقلّ من القليل

وقيل للخُرَّعة ابنة النعمان ما كانت لذّة ابيك فقالت ادمان الشراب ١٩
ومجالسة الرجال، وقال عمرو بن مُرّة الجُهَنىّ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

وصاحَبْتُ الّا من لِقاء محدّث حَسَنِ الحديث يزيدنى تَعْليمَا

وقال معاوية بن ابى سفيان لعمرو بن العاص ما بقى ممّا تستلذّه فقال مجالسة الرجال، وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعن عدّة من الصحابة رضى الله عنهم من الاحاديث فى الحثّ على صحبة الاخوان والرغبة فى الخلّان ما ان ذكرناه طال به الكتاب وكثر به الخطاب وسنذكر بعض ذلك ونختصره ونأخذ من احسنه ما يكون فيه بلاغ ان شاء الله تعالى ☆

باب الحثّ على صحبة الاخوان ٤
والاغراء على مودّة الخلّان والرغبة فى اهل الصلاح والايمان

روى عن ابى هُريرة انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يُخالّ، وروى عن ابى عمرو العَوْفىّ قال كان يقال اصحبْ من إنْ صحبتَه زانك وان خدمته صانك وان ابتليتَ خصاصة مانك وان راى منك حَسَنة عدّها وان راى منك سقطة ستَرها ومن ان قلت صدّق قولك وان اصبت سدّد صوابك ومن لا تانيك البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق وقال الفضل بن غسّان

البصرى كان يقال الحبّ من ينسى معروفه عندك، وروى عن معاوية بن قرّة قال نظرت فى المودّة والاخاء فلم اجد اثبت مودّة من ذى اصل، وانشدونا لعمر بن عبد العزيز ولا يعرف له غير هذه الابيات

انّى لأمنح من يواصلنى ... منّى صفاء ليس بالملق
واذا أتى لى حال عن خلق ... داويت منه ذاك بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومتى ... ما تبله ينزع الى العرق

ومثله قول زهير بن ابى سلمى

وما بك من خير أتوه فانّما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطّىّ الّا وشيجه ... ويغرس الّا فى منابتها النخل

ومنه قول الاخر

والابن ينشو على ما كان والده ... انّ العروق عليها تنبت الشجر

وقال المتوكّل الكنانىّ

عندى لصالح قومى ما بقيت لهم ... حمد وذمّ لأهل الذمّ معدود
أجرى على سنّة من والدى سبقت ... وفى أرومته ما ينبت العود

واوصى بعض الحكماء اخا له فقال اى اخى آخ اللبيب الاخوّة الكامل المروّة الذى ان غبت خلفك وان حضرت كنفك وان لقى صديقك استزاده وان لقى عدوّك كفّه وان رايته ابتهجت وان نأيته استرحت، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه اذا رزقك الله مودّة امرء مسلم فتشبّث بها وكان سفيان الثورىّ كثيرا يتمثّل بهذين البيتين

أبلى الرجال اذا اردت اخاءهم ... وتوسّمنّ اخاءهم وتفقّد
فاذا وجدت اخا الأمانة والتقى ... فبه اليدين قرير عين فاشدد
كم من صديق فى الرخاء مساعد ... واذا اردت حقيقة لم توجد

ومثل ذلك قول الاخر

آخ من آخيت عن خبرته ... لا يغرّنك من الناس الطرر

لا ولا الأجسامُ ما لم تَبْلُهُمْ انّما الناس كأمثال الشجرْ
منهُ ما ليستْ له مَنْظَرَةٌ وهْوَ صُلبٌ عُودُه حُلْوُ الثمرْ
وترى منه أنيقًا نَبْتُهُ طعمُه مُرٌّ وفى العُود خَوَرْ

وقال اخر

مَن حَمَدَ الناس ولم يَبْلُهُمْ ثمّ بَلاهُمْ ثمّ مَن يَحْمَدْ
وصار بالوَحْدة مستأنِسًا يُوحِشُهُ الأقربُ والأبعَدْ

وروى انّ رجلا من عبد القيس قال لابنه اى بُنىّ لا تُؤاخِ احدا حتّى تعرف موارد اموره ومصادرها فاذا استبطنت الخبر ورضيت منه ١٨ العشْرةَ فآخِه على اقالة العثرة والمواساة عند العُسْرة، وانشدنى محمّد ابن يزيد المبرّد

وكنتُ اذا الصديق اراد غَيْظى على حَنَقٍ وأشرَقَنى بريقى
غفرتُ ذُنوبَهُ وكَظَمتُ غيظى مخافةَ ان اكونَ بلا صَديقِ

وانشدنى لبَشّار بن بُرْد العُقَيْلىّ

اخوك الذى لا يَنقُص الدهرُ عَهْدَهُ ولا عند صَرف الدهر يَزْوَرُّ جانبُهْ
فخُذْ من أخيك العفْوَ واغفرْ ذنوبَهُ ولا تَكُ فى كلّ الامور تجانبُهْ
اذا كنتَ فى كلّ الامور مُعاتِبًا صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُهْ
اذا انت لم تشربْ مِرارًا على القَذَى ظمئتَ وأىّ الناس تَصْفو مَشاربُهْ

وقال اخر

ومن لا يغمّضْ عينَه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عاتبُ
ومن يبتتبّعْ جاهدًا كلّ عَثْرَةٍ يجِدْها ولا يَسلمْ له الدهرَ صاحبُ

وانشدنى احمد بن يحيى لسعيد المُساحِقىّ

فخُذْ عَفْوَ مَن احببتَ لا تُبْرِمَنّهُ فعند بُلوغ العُذر رَنْقُ المَشارِبِ

وقال ابو الاسود الدُؤَلىّ

ولستَ مستبْقيًا اخًا لك لا تَصْفَحُ عمّا يكون من زَلَلهْ
مَن ذا الذى هُذّبتْ خلائقُهْ فى رِيبَته ان أتَى وفى عَجَلهْ

لا أصحب الخائن اللئيم ولا أقطع وصل الخليل من ملله
أجزيه بالعرف ما حييت ولا يعدم صفحي الشر من عمله

ومثله قول النابغة الذبيانى

ولست بمستبق اخا لا تلمّه على شعث اى الرجال المهذّب

واجاد والله الذى يقول

اذا ما اذانى مفصل قطعته بقيت وما لى للذيوح مفاصل
ولكنّ أداويه فان صحّ كان لى وان هو أدوى كان فيه تحامل

وأنشدت لرجل من طيّئ

١٩ أرخ على الناس ثوب سترهم او اجن حلو الثمار من شجره
واستبق ما لم ترد قطيعته بستره ما استقرّ فى ستره
غرّب بادى الجميل منه اذا فتّش ابدى التفتيش عن عوره
واستصلح الناس ما استطعت ولا تسرع الى ضرّ مبتغى ضرره

وروى عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال احبّ اخوانى الىّ اخ ان غبت عنه عذرنى وان جئته قبلنى، وقيل لخالد بن صفوان اىّ اخوانك اوجب عليك حقّا فقال الذى يسدّ خللى ويغفر زلّتى ويقيل عثرتى، وقال مطيع بن اياس

انّما صاحبى الذى يغفر الذنـ ـب ويكفيه من اخيه أقلّه
ليس من يظهر الملالة افكا واذا قال خالف القول فعله
وصله للصديق يوم ويوم يضمر الهجر ثمّ ينبت حبله
واحقّ الرجال أن يغفر الذنـ ـب لاخوانه الموفّر عقله

وفى حديث سهل بن سعيد الساعدىّ قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المرء كثير بأخيه، وكتب الاحنف بن قيس الى صديق له امّا بعد فاذا قدم عليك اخ موافق لك فليكن منك مكان سمعك وبصرك فانّ الأخ الموافق افضل من الولد المخالف، وقال خالد بن صفوان اعجز الناس من قصّر فى طلب الاخوان واعجز منه

مَن ضيّع من ظفر به منهم، وقال عمر بن الخطّاب عليكم باخوان الصدق فاكتسبوهم فانّهم زين فى الرخاء وعُدّة عند البلاء، وسئل بعض الحكماء ايّ الكنوز خير فقال امّا بعد تقوى الله فالأخ الصالح، واعلم انّ خير الاخوان من كانت اخوّته ومحبّته فى الله ولم تكن خُلّته ولا مؤاخاته لطمع قليل ولا لغَرَض عاجل وليس شيء بذوى العقول واهل الديانات والفضل افضل من اخلاص المودّة فى الله ولعمرى انّ ذلك يحسن بجميع اهل الملل والاديان وهو من اوثق عُرَى الايمان وقد رُوى فيه احاديث كثيرة اقتصرنا على بعضها واختصرنا من احسنها وفى البعض كفاية ان شاء الله ☆

باب صفة

المتحابّين فى الله عزّ وجلّ

رُوى عن البراء بن عازب انّه قال كنت جالسا عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال اتدرون ايّ عُرَى الايمان اوثق قلنا الصلوة قال انّ الصلوة لحسنة وما هى بها قلنا الزكوة قال وحسنة وما هى بها فذكروا شرائع الاسلام فلمّا رآهم لا يصيبون قال انّ اوثق عرى الايمان ان تحبّ فى الله وتُبغض فى الله، واخبرنى ابى رحمه الله باسناد ذكره عن ابى هُريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّ فى الجنّة لَعمود من ذهب عليه منائر من زبرجد تضيء لاهل الجنّة كما يضيء الكوكب الدرّيّ فى افق السماء قلنا لمن هذا يا رسول الله قال للمتحابّين فى الله، وروى ابو الاحوص عن عبد الله بن مسعود انّه قال الايمان أن تحبّ فى الله وتبغض فى الله وقال عليه السلام الايمان ان يحبّ الرجلُ الرجلَ ليس بينهما نسب قريب ولا مال اعطاه ايّاه لا يحبّه الّا لله عزّ وجلّ، ورُوينا عن ثابت البُنانيّ عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يؤاخى بين الرجلَيْن

من اصحابه فتطول الليلة على احدهما حتى يرى اخاه، ورُوينا عن جرير بن عبد الله البَجَلىّ قال ما حجبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ اسلمت ولا رانى الّا تبسّم فى وجهى، وقال عمر بن الخطّاب لقاء الاخوان جلاء الاحزان وقال اكثم بن صيفىّ لقاء الاحبّة مسْلاة الهمّ، وكان عبد الله بن مسعود يقول لاصحابه انتم جلاء حزنى، وروى عن ابى امامة قال من اعطى لله ومنع لله واحبّ لله وابغض لله فقد استكمل الايمان، وقد كانت الحكماء تقول أنّ ما يجب للأخ على اخيه مودّته بقلبه وتزيينه بلسانه ورفده بماله
١١ وتقويمه بادبه وحسن الذبّ والمدافعة عنه فى غيبته، وانشدنى ابو بكر بن ابى الدُّنْيا

اذا المرء لم يُنصفْ اخاه ولم يكنْ ... له غائبًا يوما كما هو شاهدُهْ
فلا خيرَ فيه فالتمسْ غيرَه اخًا ... كريمًا على وصْل الكريم تُعاهدُهْ
فان غبْتَ يومًا او شهدتَ فوجهُهُ ... على كلّ حالٍ أينما كنتَ واجدُهْ

انشدنى احمد بن يحيى لكثيّر عزّة

وليس خليلى بالمَلُول ولا الذى ... اذا غبتُ عنه باعنى بتخليل
ولكنْ خليلى مَن يَدُوم وَفاؤهُ ... ويحفظ سرّى عند كلّ دَخيل
ولستُ براضٍ من خليلى بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرْضَى له بقليل

وانشدنى بعض الادباء قال انشدنى اعرابىّ ببلاد نَجْد

وليس خليلى بالمزجّى ولا الذى ... اذا غبتُ عنه كان عَوْنًا مع الدَّهْرِ
ولكنْ خليلى مَن يَصون مَودّتى ... ويحفظنى ان كان من دونى البَحْرُ

وانشدنى ابو العبّاس محمّد بن يزيد النحوىّ

تَوَدُّ عَدُوّى ثمّ تزعمُ انّنى ... أَودُّك انّ الرأى عنك لعازبُ
وليس اخى مَن ودّنى رأْىَ عينه ... ولكنْ اخى مَن ودّنى وهْوَ غائبُ

وانشدنى يوسف الأعْوَر قال انشدنى يعقوب بن السِّكّيت لأوس بن حَجَر

ولبس اخوك الدائم العهد بالذى يذمّك ان ولّى ويرضيك مقبلا
ولكنّ اخوك النائى ما كنت آمنًا وصاحبك الأدنى اذا الامر أعضلا

وانشدنى ابو العيناء قال انشدنى الجاحظ

أخوك الذى ان سرّك الامر سرّه وان غبت يومًا ظلّ وهو حزين
يقرّب من قربت من ذى مودّة ويقصى الذى أقصيته ويهين

وانشدنى احمد بن يحيى

اذا انت رافقت الرجال فكن فتًى كأنّك مملوك لكلّ رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبًا وباردًا على الكبد الحرّى لكلّ صديق

وأعلم انّ احسن ما تألّف به الناس قلوب اخلّاءهم ونفوا به الضغن ٢٣
عن قلوب اعداءهم البشر بهم عند حضورهم والتفقّد لامورهم وحسن البشاشة فذلك يثبت المحبّة والاخاء ومنه احاديث قد ذكرنا بعضها وقصدنا فيما فيه قناعه ☆

باب البشاشة بالاخوان ٦

والصبر على تألّف قلوب ذوى الأضغان

قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وقال تعالى وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ وقال عزّ وجلّ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وروى عن ابى هريرة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال رأس العقل بعد الايمان التودّد الى الناس، وسئل الحسن عن حسن الخلق فقال الكرم والبذلة والتودّد الى الناس، وروينا عن جرير بن عبد الله البجلىّ فقال ما حجبنى رسول الله منذ اسلمت ولا رانى الّا بتبسّم فى وجهى، وقال المنصور اذا احببت المحمدة من

الناس بلا مؤونة فألقهم ببشرٍ حسنٍ، وروى عن كعب الاحبار قال مكتوب فى التوراة ليكنْ وجهك سَبْطًا تكنْ احبّ الى الناس ممّن يعطيهم الذهب والفضّة وانشدنى ابو علىّ العنزىّ

ألِفَ بالبشر مَن لقيتَ منَ النّا سِ جميعًا ولاقِهمْ بالطلاقهْ
تجْنِ منهم به جَنىَّ ثمارٍ طيّبٍ طعمُه لذيذ المَذاقهْ
ودَعِ التيهَ والعُبوسَ عنِ النّا سِ فانّ العبوس رأسُ الحماقهْ
كُلّما شئتَ أن تُعادِىَ عادَيْـ ـتَ صديقًا وقد تُعِزّ الصَداقهْ

انشدنى لبعض بنى طيبىّ

٢٣ خالِقِ الناسَ بخُلْقٍ واسعٍ لا تكنْ كلبًا على الناس تَهِرْ
وألقَهمْ منك ببشرٍ ثمّ كُنْ للّذى تَسْمَع منهم مُغتفِرْ

وقال ابو العتاهية

وإنْ جناحَك تعتقِدْ فى الناسِ مَحمِدةً بليتهْ
فلَرُبّما احْتقرَ الفتَى مَنْ ليس فى شَرَفٍ بدونهْ

وكان يقال أوّل المروّة طلاقة الوجه والثانية التودّد الى الناس والثالثة قضاء حوائج الناس، وروى انّ اعرابيًا قال يا رسول الله انّا من اهل البادية فندحبّ ان تُعلّمنا عملا لعلّ الله ان ينفعنا به قال لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو ان تفرّغ من دلْوِك فى اناء المستقى وان تُكلّمَ اخاك ووجهُك اليه منطلقٌ، وروى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال انّكم لن تَسَعوا الناس باموالكم فاسَعُوهم ببسط الوجه والخُلق الحسن، وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم تمام تحيّاتكم المصافحة، وقال الحسن البصرىّ المصافحة تزيد فى المودّة، وروى مُجاهد عن مُعاذ قال انّ المسلمَيْن اذا التقيا فضحك كلّ واحد منهما فى وجه صاحبه ثمّ اخذ بيده تحاتّتْ ذنوبهما كما يتحاتّ ورقُ الشجر، واعلم انّه اذا صلحت النّياتُ وخلصت السريرات صلحت اصْفيَة المودّة وتثبت المحبّة واتّفقت القلوب واغتفرت

الذنوب واذا فسدت النيّات وخبثت السريرات بطل خالص الاخاء وانحلّت عُرى المودّة والصفاء وقد شرحتُ فى ذلك بابًا تقف عليه ان شاء الله تعالى ۞

باب اتّفاق القلوب

على مودّة الصديق وقلّة الخلاف على الرفيق ٧

رُوينا عن ابى الاحوص عن عبد الله بن مسعود وعن الوليد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الارواح جنودٌ مجنّدة فما ٢٤ تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف، وقال بعض الشعراء

انّ القلوب لأجنادٌ مجنّدةٌ لله فى الارض بالاهواء تعترفُ
فما تعارَفَ منها فهْوَ مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهْوَ مختلفُ

وقال طَرَفَةُ

وانّ امرءًا لم يعْفُ يومًا فُكاهَةً لِمَنْ لم يُرِدْ سُوءًا بها لَجَهولُ
تَعارَفُ أرواحُ الرجال اذا ٱلتقَوْا فمنهم عدوٌّ يُتّقى وخليلُ

وكان يقال المودّة قرابةٌ مستفادة، وقيل لخالد بن صفوان اخوك احبّ اليك ام صديقك فقال انّ اخى اذا كان غير صديق لم احبّه، ورُوينا عن واصل مولى ابن عُيينة قال كنتُ مع محمّد بن واسع بمَرْوَ فاتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمّد اىّ عمل فى الدنيا افضل قال صحبة الاصحاب ومحادثة الاخوان اذا اصطحبوا على الامن والتقوى فحينئذ يُذْهب الله بالخُلف من بينهم فواصلوا وتواصلوا، ورُوى عن بشر بن السَّرىّ قال ليس من البرّ ان تبغض ما احبّه حبيبك، وقال عبد الله بن صالح اجتمعت انا ومحمّد بن نصر الحارثىّ وعبد الله بن المُبارَك وفُضَيْل بن عياض فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمّد بن نصر علينا فى شىء اصلا فقال له عبد الله ما اقلّ خلافك فقال محمّد

واذا صاحبتَ فاصحَبْ ماجدًا ذا حياءٍ وعفافٍ وكَرَمْ
قولُه للشيء لا إن قلتَ لا واذا قلتَ نَعَمْ قال نَعَمْ

وقال اخر

هُمومُ رجالٍ فى أُمورٍ كثيرةٍ وهَمّى مِنَ الدُّنيا خليلٌ مُساعِدُ
اذا غِبْتُ عنه لم أَغِبْ عن ضَميرِهِ كأنّى مُقيمٌ بين عينَيْهِ شاهِدُ
نكون كروحٍ بين جِسْمَيْنِ فُرِّقَا فجِسْماهُما جسمانِ والرُّوحُ واحِدُ

وانشدنى اخر

٢٥ والْقَيْنِ كالغُصْنَيْنِ ضَمَّهما الهَوَى فرُوحاهما روحٌ وقَلْباهما قَلْبُ
اذا غابَ هٰذا ساعةً عن خليلِهِ تَجَلّاهُ يومًا عند فُرْقتِهِ كَرْبُ
فيا مَن رأى الْقَيْنِ صانا هَواهُما فهٰذا بِذا صَبٌّ وهٰذا بِذا صَبُّ

وأُنشدتُ للحَكَمىّ

رُوحُها روحى وروحى روحُها ولَها قلبٌ وقلبى قَلْبُها
فلنا روحٌ وقلبٌ واحدٌ حَسْبُها حسبى وحسبى حسبُها

ولعمرى انّ ذلك لَحسن جميل والذى قيل فى ذلك كثير طويل وقد نَهَى قومٌ عن استعمال الميل فى المودّة وأعلم انّ ذلك مع دوام المحبّة وصفاء المودّة لحسن غيرُ مدفوع غير انّه قد نُهِىَ عن استعمال الميل فى المودّة وكثرة الافراط فى المحبّة وادمان الزيارة فى كلّ يوم وساعة لموضع الملل والسلوان الذى هو طبع الانسان وأُمِرْنا بالقصد فى كلّ الامور بدوام المحبّة والسرور وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مقنع ☆

باب النهى عن

٨ ### استعمال الافراط فى حبّ الصديق

رُوى عن بعض الحكماء انّه قال لا يفرط الاديب فى محبّة الصديق ولا يتجاوز فى عداوة العدوّ فانّه لا يدرى متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ولا متى تنتقل عداوة العدوّ صداقة، وحُكى عن علىّ بن

الى طالب كرّم الله وجهه انّه قال أحببْ حبيبك هونًا ما يكن بغيضَك يوما ما وأبغضْ بغيضك هونًا ما يكن حبيبك يوما ما، وروى عن عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه انّه قال لا يكن حبّك كلفا ولا بغضك تلفا، ومن امثال اكثم بن صَيفيّ الانقباض من الناس مكسبة للعداوة وافراط الانس مكسبة للملال، قال ابو عُبيدة يريد انّ الاقتصاد ادنى الى السلامة، قال ابو زيد من أمثالهم لا تكنْ حُلْوًا فتُسْتَرَط ولا مُرًّا فتُعْقَى اى تُلفظ من المرارة، ومثله قول مُطَرِّف بن الشِخّير الحسنةُ بين السَيِّئَتَيْن وخير الامور اوسطها، وكان يقال لا تهذرْ ٣٦
فى منطقك ولا تُخبر بذات نفسك ولا تَغترّ بعدوّك ولا تفرط فى حبّ صديقك ولا تَفزعْ الى من لا يرحمك ولا تألفْ من لا يُرشدك ولا تبغض من يَنصح لك فانّ شرّ الاخلاق ملائة الصاحب وتقريب المتباعد، وانشدنى احمد بن يحيى للمُقَنّع الكندى

وكُنْ مُعْدًّا للحلم واصفحْ عن الأذى فانّك راءٍ ما علمتَ وسامعُ
وأحببْ اذا احببتَ حبًّا مُقاربًا فانّك لا تدرى متى انت نازعُ
وأبغضْ اذا أبغضتَ غيرَ مُباعدٍ فانّك لا تدرى متى انت راجعُ

وانشدنى احمد بن يحيى لسعيد المساحقىّ

فهَوِّنْ فى حبٍّ وبغضٍ فربّما يُرَى جانبٌ من صاحبٍ بعد جانبِ

وسمعتُ عبد الله بن عبد الله بن طاهر ينشد هذين البيتين واحسبهما له

اذا انا أكرمتُ اللئيمَ تعمّدنى مُهينًا له حقّقتُ باطلَ ما عَدّا
فانّ صلاحَ الامر يرجعُ كُلُّهُ فسادًا اذا الانسانُ جُرِّبَ به الحَدّا

وهذا طويل يُقنعك منه القليل، واما طول الزيارة فقد يجب على اهل الصداقة ترك المداومة عليها وكثرة الجنوح اليها فانّ ذلك يُخْلق الحبّ ويُذهل الصبّ ويُضجر المَزور ويُعدم السرور ويوقع البدل ويُبدى المَلل وقد شرحنا فى ذلك بابًا فاعرفه وقِفْ عليه ان شاء الله تعالى ☆

باب الامر باغباب زيارة الاحباب
والنهى عن مداومة غشيان الاصحاب

رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، وقال بعض الحكماء من كثرت زيارتُه قلّت بشاشته، وقال اخر من ادمن زيارة الاصدقاء عَدِم الاحتشادَ عند اللقاء، وقال اخر

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ تكونُ كالثوب أستجدّهْ
إنّ الصديق يُمِلُّهُ أن لا يَزال يَراك عِنْدَهْ

وقال اخر

عليك بإقلال الزيارة انّها تكون اذا دامتْ الى الهَجْرِ مَسْلَكا
فانّى رأيتُ القَطْرَ يُسْأَم دائبًا ويُسْتَل بالأيدى اذا هُوَ أَمْسَكا

وأُنشدتُ لابى تمّام حبيب بن اوس

وطُولُ مُقامِ المرء فى الحَىّ مُخْلِقٌ لديباجَتَيْه فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فانّى رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبّةً الى الناس أن ليستْ عليهم بِسَرْمَدِ

وأنشدنى لابراهيم بن المهدىّ

انّى كَثُرتُ عليه فى زِيارتِه والشىءُ مُستَثْقَلٌ جِدًّا اذا كَثُرَا
ورابَنى منه أنّى لا أزال أَرَى فى طَرْفِه قِصَرًا عنّى اذا نَظَرَا

وقال عمر بن ابى ربيعة

لا تجعلَنْ احدًا عليك اذا أحببتَهُ وهَوِيتَه رِبًّا
وَصِلِ الصديق اذا كلفتَ بحُبّه وأَطْوِ الزيارةَ دُونَه غِبًّا
فلذاك خيرٌ من مُواصَلةٍ ليستْ تَزيدُك عنده قُرْبًا
لا بَلْ يَمَلّك عند تَعْوَتِه فيقول آهَ وطالَ ما لَبّا

وقال اخر

أَغِبَّا الزيارةَ لمّا بَدَا له الهَجْرُ او بعضُ أسبابِه
وما صَدَّ هَجْرًا ولكنّه طَرِيدُ مَلالةِ أحبابِه

وكتب بعض الظرفاء رقعة وطرحها فى مجلس محمّد بن عبد الله بن طاهر حيث حرّم القيان

عَزَمَاتُ الأَمير أَصْلَحَهُ اللّٰه بِحُسْن الارشاد وَالتَّوْفيق
باعدتْ بيننا وبين عُجابٍ ومُديلٍ ومُنصِفٍ وصديقِ

فوقّع محمّد فى ظهر الرقعة

حُسْنُ رأْيِ الامير فى العُشّاقِ وقِرى لحظّ فى بِعاد التّلاقى
خافَ أن يُحدِث الوِصالُ مَلالًا فتَلاقَى الهَوَى ببعضِ الفِراقِ

وانشدنى بعض الادباء

انّى رايتُك لى مُحِبًّا والىّ حين أَغيبُ صَبًّا ٢٨
فهجرتُ لا لِملالِه حدُثتْ ولا أستحدثتُ ذنْبًا
الّا لقولِ نَبيّنا زُورُوا على الأيّام غِبًّا
ولقولِه مَن زار غِبًّا منكمُ يَزدادُ حُبًّا
وهجرتُ حين هجرتُ كَىْ أَزدادَ بالهِجْران قُرْبًا
اللّٰه يعلم أنّنى لك أُخلِصُ الثَّقَلَيْن قَلْبًا
أَرْعَى لك الوُدَّ القديمَ وإن جَنيتَ علىّ حَرْبًا

ومن ذلك ما رُوى انّ العَتّابىّ دخل على يحيى بن خالد البرمكىّ وكانت له جارية يقال لها خَلوب تُجالس الادباء وتناقض الشعراء فقال لها سليه لابطائه عنّا جائزةً فقالت له قل على هذه القافية

اذا شئتَ ان تُقْلَى فزُرْ متواتِرًا وإن شئتَ أن تَزداد حُبًّا فزُرْ غِبًّا

فانشأ يقول

بَقِيتُ بلا قلبٍ لأَنّىَ هائمٌ فهل من مُعيرٍ يا خَلوبُ بكُمْ قَلْبَا
حلفتُ لها بالله أنّك مُنْيَتى فكونى لعَيْنى حيث ما نظرتْ نَصْبَا
عسى اللّٰه يومًا أن يُريَنيكِ خاليًا فأَحْظَى بلَحْظى من محاسنكمْ عُجْبَا
يقولون لا تُكثِرْ زيارةَ صاحبٍ فانّك ان اكثرتَه كرِهَ القُرْبَا
وكيف يُطيق الصبُّ سلوانَ حُبّهِ اذا كان مشغوفًا قد استشعر الكَرْبَا

وقد قال بَيْنَا ما سمعتُ بمثله خَلِيٌّ من الأحزان لم يَذُقِ الحُبَّا
اذا شئتَ ان تُقلَى فزُرْ متواتِرًا وان شئتَ ان تَزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

فقال له لله ابوك احسنتَ خذ بيدها فهى لك وامر له بالف درهم، واعلم انّ كلّ ما رسمناه فى هذه الابواب وذكرناه وشرطناه على الادباء ووجدناه داخلا فى باب حدود الادب على ما اصبناه غيرُ خارجٍ منه ولا منفصل عنه وأنْ يكون الاديب عاقلا واللبيب كاملا حتّى تكون له مودّة قد قرنها بأدبه وثابر عليها فى طلبه فاذا جمع ذلك رَهِب منه الاعداء ورَغِب فيه الاولياء وسنذكر من انشئة المروّة ما يكون فيه بلاغ وهداية ان شاء الله تعالى ۞ ٢١

باب

شرائع المروّة وصفتها

اعلمْ انّ المروّة فى عماد الادباء وعتاد العقلاء يرأس بها صاحبها ويشرف بها كاسبها ولا شىء ازين بالمرء من المروّة فهى رأس الظرف والفتوّة وقد قال بعض الحكماء الادب يُحتاج معه الى المروّة والمروّة لا يُحتاج معها الى الادب وربّما رايتَ ذا المروّة الخامل وذا السخاء الجاهل قد غطّت مروّته على عيوبه وسترة سخاؤه من معيبه واهل المروّات محسودةٌ افعالُهم متّبعةٌ احوالُهم وقلّ ما رايتَ حاسدا على ادب وراغبا فى ارب، من ذلك ما حُكى عن محمّد بن حرب انّه قال كنتُ على شُرْطة جعفر بالمدينة فأُتيتُ باعرابىّ من بنى اسد يُستعدى عليه فرايتُ رجلا له بيان يحتمل الصنيعة فرغبتُ فى اتّخاذها عنده فتخلّصتُه ثمّ لم يلبث ان رُدَّ الىّ فقلت لحَمَاس فقال لى حماس والله قلت ما رجعك قال الشرّ وما قاله رجل منّا يقال له خالد فانشدنى

عادَوْا مروّتَنا فضلّلَ سَعْيُهم ولكلّ بيتِ مروّةٍ أعْداءُ
لسْنا اذا عُدَّ الفَخارُ كمعشرٍ أزرى بفعلِ أبيهمِ الأبْناءُ

قال فتخلّصتُه ثانيةً، وقيل لبعض حكماء الفُرس اىّ شىء للمروّة اشدّ تهجينا فقال للملوك صَغَرٌ فى الهِمّة وللعامّة الصَلَفُ وللفقهاء الهوى وللنساء قلّة الحياء وللعامّة الكذب والصبر على المروّة صعبٌ وتحمُّلها عيبٌ، وقد قال خالد بن صفوان لولا انّ المروّة اشتدّت مؤونتُها وثقُل حملُها ما ترك اللئامُ للكرام منها شيئًا ولكنّه لمّا ثقُل محملها واشتدّت مؤونتها حاد عنها اللئام فاحتملها الكرام، وقال بعضهم المكارم لا تكون الّا بالمكاره ولو كانت خفيفةً لتناولها السَفلة بالغلبة، وقال ابن عمر ما حمل رجل حِمْلا اثقل من المروّة فقال له اصحابه صِفْ لنا ذلك فقال ما له عندى حدٌّ أعرفه الّا أنّى ما استحييتُ من شىء قطّ علانيةً الّا استحييتُ منه سرًّا، وقام رجل من بنى مُجاشِع الى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله ألستُ افضلَ قومى فقال ان كان لك عقل فلك فضل وان كان لك خُلق فلك مروّة وان كان لك مال فلك حسب وان كان لك دين فلك تُقًى وان كان لك تُقًى فلك دين، وروى الهلالىّ قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من ثقيف ما المروّة فيكم قال الصلاحُ فى الدين واصْلاحُ المعيشة وسخاء النفس وصلةُ الرَحِم فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كذلك هى فينا، وقال عمر بن الخطّاب المروّة الظاهرة الثيابُ الطاهرة يعنى النقيّة من الذنوب، وقيل للأحنف ما المروّة قال اصلاح المعيشة واحتمال الجريرة، وقال معاوية لصَعْصَعة بن صفوان ما المروّة قال الصبر على ما يَنوبك والصمت حتى تحتاج الى الكلام، وقال محمّد بن علىّ بن الحُسين كمال المروّة الفقهُ فى الدين والصبرُ على النوائب وحسنُ تقدير المعيشة، وقال معاوية لرجل من عبد القيس ما تعدّون المروّة فيكم قال العفّة والحِرْفة، وقيل لابى زُهْرة ما المروّة قال اصلاحُ المال والرزانةُ فى المجالس والغداء والعشاء بالافنية، وقال عمر بن الخطّاب حسب المرء ماله وكرمُه دينه واصله عقله ومروّته

خُلقه، وقال علىّ بن ابى طالب مروّة الرجل حبيبٌ يضع نفسه، وقال
٣١ عبد الله بن سُمَيْط بن عَجْلان سمعتُ ايّوب السجستانىّ يقول لا
ينبُل الرجل حتّى تكون فيه خَصْلتان العِفّة عن الناس والتجاوزُ عنهم،
وقال مسلمة بن عبد الملك مروّتان ظاهرتان الرياسةُ والفصاحة، وكان
يقال ثلاثٌ يفسدون المروّة الالتفاتُ فى الطريق والشُحّ والحِرْص،
وقال عمر بن هُبيرة عليكم بمباكرة الغداء فانّ فى مباكرة الغداء ثلاثُ
خلال يطيّب النكْهة ويُطفئ المِرّة ويُعين على المروّة قيل وما اعانته
على المروّة قال لا تتوق النفس الى طعام غيره، وقال سَلم بن قُتيبة
لا تتمّ مروّة الرجل حتّى يصبرُ على مناجاة الشبيوخ الدُرد، وسأل
ابن زياد رجلا من الدهاقين ما المروّة فيكم قال اربع خصالٍ أن يعتزل
الرجل الريبة فلا يكونَ فى شىء منها فانّه اذا كان مُريبا كان ذليلا
وأن يُصلِح ماله فانّ مَن افسد ماله لم تكن له مروّة وأن يقوم لأهله
بما يحتاجون اليه حتّى يستغنوا به عن غيره فانّ من احتاج اهله الى
الناس لم تكن له مروّة وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب
فيلزمه فانّ المروّة ألّا يخلّط على نفسه فى مطعمه ولا مشربه، وكان
يقال ثلاث من المروّة تعاهُدُ الرجل اخوانه واصلاحُ معيشته واقالتُه
فى منزله، وسُئل العَتّابىّ عن المروّة فقال اخفاءُ ما لا يُستحيى من
اظهاره ومواطأةُ القلبِ اللسانَ، ويُروى عن عبد الله بن بكر السهمىّ
انّ عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص
فجلس مليّا ثمّ انصرف فقال معاوية ما اكمل مروّة هذا الفتى واخلقه
أن يبلُغَ فقال عمرو يا أمير المومنين انّ هذا اخذ بخلائق اربع وترك
ثلاثًا اخذ بأحسن الحديث اذا حدّث وباحسن الاستماع اذا حُدّث
٣٢ وبأيسر المُونة اذا خولف وباحسن البشر اذا لُقِىَ وترك مزاح مَن لا
يوثَق بعقله ولا دينه وترك مخالفة لئام الناس وترك من الكلام ما
يُعتذر منه، فهذه جملةُ شرائع المروّة لا يقدر على القيام بأدنى

المفترض فيها الّا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة، واعلم انّ من المروّة ايضا عشرة خصال لا مروّة لمن لم يكن فيه الحِلْمُ والحياء وصدقُ اللّهجة وتركُ الغيبة وحُسْنُ الخُلُق والعَفْوُ عند المَقْدُرة وبذلُ المعروف وانجازُ الوعد وفي تبيينهنّ اخبارٌ تحثّ على استعمالهنّ وآثارٌ تدعو الى المثابرة عليهنّ وانا ذاكرٌ بعضَ ذلك ان شاء الله وبه القوّة۞

باب ما جاء من فضل الصدق ١١
لذوى الآداب وما كُرِهَ من الكذب لذوى الالباب

روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال لا يصلح الكذب فى جدٍّ ولا هزلٍ، وقال ابو بكر الصدّيق رضى الله عنه اذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلا لِنَتْنِ ما جاء منه، وقال لسان الصدق خير للمرء من المال يأكله ويورثه، وقال المهلّب بن ابى صفرة ما السيف الصارم فى يد الرجل الشجاع بأعزّ له من الصدق، وكان يقال الصدق قوّة والكذب عجز، انشدنى بعض الادباء

لا يَكْذِبُ المرءُ الّا من مَهانته ... او عادة السوء أو من قلّة الأدَبِ
لَجيفةُ الكلب عندى خيرُ رائحةً ... من كَذْبة المرء فى جدٍّ وفى لَعِبِ

وكان يقال لا رأىَ لكذوبٍ ولا مروّةَ للكذّاب، ويقال لا تستعن بكذّاب فانّه يقرّب لك البعيدَ ويباعد لك القريبَ، وانشدنى اخر

وكُنْ صادقًا فى كلّ شىءٍ تقولُهُ ... ولا تَكُ كذّابًا فتُدْعَى مُنافقا

وقال اخر

الكذبُ عارٌ وخيرُ القول أصْدَقُهُ ... والحقُّ ما مَسَّهُ من باطلٍ زَهَقا

٣٣ وانشدنى غيره

الصِّدْقُ مَنْجاةٌ لمَن هُوَ صادقٌ ... وتَرَى الكَذوبَ بما يقول يُوبَّخُ

وقال ابو العتاهية

كُنْ فى أُمُورِكَ ساكِنًا فالمرءُ يُدْرَكُ فى سُكُونِهْ
وٱعمِدْ الى صِدْقِ الحديثِ فانّه ازْكَى غُنُونِهْ
رُبَّ ٱمرئٍ متنبِّقٍ غَلَبَ الشقاءُ على يَقِينِهْ

وحدّثنى بعض شيوخ الكُتّاب قال حدّثنى علىّ بن هشام قال قال لى محمّد بن الجهم ذات يوم يا ابا الحسن الكذّاب والمَوَات بمنزلة واحدة قلتُ وكيف ذاك قال لانّ علامة الحىّ النُطْق ومن لم يوثَق بنطقه فقد بطلت حياتُه، والذى جاء فى ذلك يطول شرحه ويكثر وصفه والكلام فيه يتّسع وانا أُفْرِد لهذا الباب كتابا وارصُفه ابوابا أبيّن فيه فضل الصدق على الكذب ليُرغَب فيه ذوو المروّة والادب ان شاء الله تعالى،

واما ما جاء فى انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروّات فكثيرٌ يكثر عددُه ويطول امدُه وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه ان شاء الله تعالى ☆

باب ما جاء فى قبح خلف المواعيد ١٢
وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيد

اعلمْ انّ اقبح ما استعمله اهلُ الادب مطلُ العِدات، وقال المثنّى ابن خارجة لأَن اموت عطشا احبّ الىّ من ان اخلف موعدا، ورُوينا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال ثلاث علامات فى المُنافق وان صام وصلّى وزعم انّه مسلم اذا حدّث كذب واذا ائتُمن خان واذا وعد اخلف، ورُوى عنه انّه قال عِدة المؤمن أَخْذٌ بالكفّ، وقال بعض الاعراب وعدُ الكريم تعجيل ووعد اللئيم مطل وتسويف، ٣٤ وكان يقال اليأسُ احد الراحتَيْن، وانشدنى يعقوب بن يزيد النمّار

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ نَعَمْ يا فَتَى أَفْعَلْ وذلك من شَكْلِى

وان قلتُ لا بيّنتُها من مكانها ولم أُوذِهِ فيها بجَرٍّ ولا مَطْلِ

وانشدنى اخر

اذا قلتَ فى شىءٍ نَعَمْ فأتِمّهُ فإنّ نعمْ دَيْنٌ على الحُرّ واجبُ
وإلّا فقُلْ لا واستريحْ وأرِحْ بها لكَى لا يقول الناسُ انّك كاذبُ

وانشدنى اخر

لا تقولنّ اذا ما لم تُرِدْ أن يَتِمَّ الوعدُ فى شىءٍ نَعَمْ
واذا قلتَ نعمْ فامْضِ بها بنَجاحِ الوعدِ إنّ الخُلف ذَمْ

وانشدنى ابراهيم بن محمّد النحوىّ

انت الفتى كلّ الفتى لو كنتَ تفعل ما تَقُولْ
لا خيرَ فى كَذِبِ النجَوا دِ وحَبّذا صدقُ البَخيلْ

وكان يقال اعتذارٌ من منع اجمل من وعدٍ ممطول، وقال علىّ بن هشام امرنى المأمون بحاجة فاخّرتُها فكتب الىّ

تعجيلُ جُودِ المرءِ أُكْرومَةٌ تَنْشُرُ عنه احْسَنَ الذِّكْرِ
والحُرّ لا يمطل معروفَه ولا يليق المَطْلُ بالحُرِّ

وكان يقال المعروف يحتاج الى ثلاث تعجيله وكتمانه واتمامه، وانشدنا ليزيد بن جَبَلٍ

يا صانعَ المعروفِ كُنْ تارِكًا تَرْدادَ ذى الحاجة فى حاجتهْ
فشرُّ معروفِك ممطولُهُ وخيرُهُ ما كان من ساعتِهْ
لكلّ شىءٍ يُرْتَجَى آفَةٌ وحَسْبُك المعروفُ من آفتِهْ

وقال اخر

صِلْ مَن اردتَ وِصالَهُ واخاهُ انّ الاخوّة خيرُها موصولُها
واذا ضَمِنتَ لصاحبٍ لك حاجةً فاعلمْ بأنّ تمامَها تعجيلُها

وقال اخر

لا تَنشُرَنّ مواعيدًا وتَسنُدُها الى المطال فما يَرْضَى به الأدَبُ
لا تَطلُبَنّ بمَنْعِ المالِ مَحْمَدةً انّ المَحامِدَ بالاموال تُكْتَسَبُ

٣٥ وكان يقال لكلّ شيء آفة وآفة المعروف المطل، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لكلّ شيء رأس ورأس المعروف تعجيله، وفى وصيّة عبد الملك بن مروان لبنيه يا بَنِيّ لا تَعِدوا الناس بما لا تناله ايديكم، ويقال اذا وعدتَ الرجل نائلا ثم مطلتَه به فقد اوفاك ثمنَ معروفك عنده، وانشدونا لدعبل بن علىّ الخزاعىّ

ايّاك والمَطْلَ أنْ تُفارِقَهُ فانّه آفة لكلّ يَد
اذا مطلتَ امرءًا بحاجته فامْضِ على مطله ولا تَجِد
فلستَ تلقاه شاكرًا لِيَد قد كَدَّها المطلُ آخرَ الأبَد

وللفُقَيمىّ ايضا فى مثله

ما كَلَّفَ اللهُ نفسًا فوق طاقتها ولا تجودُ يَدٌ الّا بما تجِدُ
فلا تَعِدْ عِدةً الّا وَفَيْتَ بها ولا تكوننّ مِخْلافًا لما تَعِدُ

ولدعبل ايضا فى مثله

وارى النَوالَ يَزِينُه تعجيلُهُ والمطلُ آفةُ نائلِ الوَهّابِ

وكان يقال بذل جاه السائل ثمنُ معروف المسائل، وقال اكثم بن صيفىّ السؤال وان قلّ ثمنٌ لكلّ معروف وان جلّ، انشدنى محمّد ابن ابراهيم الهَمْدانىّ لعلىّ بن ثابت الكاتب

ما اعتاض باذلُ وَجْهِهِ بسؤالِه بذلًا ولَوْ نال الغِنَى بسُؤالِ
واذا السؤالُ مع النوال وزَنْتَهُ رَجَحَ السؤالُ وخَفَّ كلُّ نوالِ

وقال بعض الحكماء أَحْيِ معروفَك بامانة ذِكْره وعظّمْه بتصغيرك له، انشدنى ابو العبّاس ثعلب لابى يعقوب الخَرِيمىّ

زادَ معروفَك عندى عظمًا انّه عندك مستورٌ حَقيرْ
وتناساهُ كأنْ لمْ تَأْتِهِ وَهْوَ عند الناس مشهورٌ كَبيرْ

وقال عدىّ بن حاتم لا يصلح المعروف الّا بثلاث تعجيله وكتمانه وتصغيره لانّك اذا عجّلتَه هنّيته واذا كتمته استهنْته واذا صغّرته عظّمته، وشرحُ كلّ ما جاء فى ذلك يطول والاختصار احسنُ من

الاكثار وقد ذكرت معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار فى ٣٦
كتابٍ لطيف التأليف والاختصار هو كتاب البثّ والحثّ غنينا بما فيه
عن الزيادة وعن التطويل والاعادة ونحن نُتبع هذا الباب بما ضمّناه على
الحثّ على كتمان السرّ ليرغب فيه ذوو الادب والقُدرة ان شاء الله تعالى ۞

باب الحثّ على كتمان السرّ ١٣٣

والترغيب فى حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال أستعينوا على حوائجكم
بكتمان السرّ، وكان يقال سرُّك من دَمك فانظر اين تجعله، وكان
يقال ما كتمتَه من عدوّك فلا تُطلعْ عليه صديقَك، وقال المهلّب
ابن ابى صفرة من ضاق قلبُه اتّسع لسانُه، وانشدنى احمد بن
يحيى لقيس بن الحَدادية الخزاعىّ

بَكَتْ من حديث نَمَّه وأشاعَهُ ولَصَّقَهُ واشٍ مِنَ القوم راضِعُ
بكتْ عينُ مَنْ أبكاكِ لا يَشْجِكِ البُكا ولا تَتَخالَجْكِ الامورُ النوازِعُ
ولا تُسمِعِي سِرّى وسرَّكِ ثالثًا أَلَا كلُّ سرٍّ جاوَزَ اثْنَيْنِ ضائِعُ

وانشدنى لبعض الطالبيّين

أُكافِى خليلى ما استقامَ بودّه وأُمْنَحُهُ ودّى اذا يتعتّبُ
ولستُ ببادى صاحبى بقطيعة ولا انا مُفْشى سرّه حين أَغْضَبُ
عليك باخوانِ الثقات فانّهمْ قليلٌ فصلْهُمْ دونَ مَنْ كنتَ تَصْحَبُ
وما الخِدنُ الّا مَن صَفا لك ودّه ومَن هو ذو نُصْحٍ وأنتَ مُغيَّبُ
اذا ما وضعتَ السرَّ عند مضيِّعٍ فذو السرّ ممّن ضيَّعَ السرَّ أَذْنَبُ

وقال معاوية بن ابى سفيان لحازم مَن كتم سرّه من صديقه مخافةَ ان
تَبدّل صداقتُه عداوةً فيُذيعُ سرّه، وقال بعض الشعراء

تواقَفْ معشوقَيْن من غير مَوْعِدٍ وغُيِّبَ عن نجْواهما كلُّ كاشِحِ
وكلّتْ جفونُ الماء عن حَمْل مائِها فما ملكتْ فَيْضَ الدموعِ السوافِحِ ١٣٧

وانّى لأَطْوِى السرَّ عن كلّ صاحبٍ وإنْ كان للأسرار عدل الجوانح

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سرّه الى الحجّاج بن يوسف ففشا حتّى بلغه ذلك فكتب اليه عبد الملك يعاتبه فكتب اليه والله يا امير المؤمنين ما اخبرت به الّا انسانا واحدا فكتب اليه عبد الملك انّ لكلّ انسان نصيحا يُفشى اليه سرّه، وقال بعض الشعراء فى ذلك

ألَمْ تَرَ أنّ وُشاةَ الرجا لِ لا يتركون أديمًا صحيحا
فلا تُفْشِ سرّك الّا اليك فانّ لكلّ نصيحٍ نصيحا

وقال اخر

اذا انت لم تحفَظْ لنفسك سرّها فسرُّك عند الناس أفشى وأضيَعُ

وقال اخر

أمِنتِ السرَّ بكتمانٍ ولا يبدُوَنْ منك اذا استُودِعتَ سرُّ
فاذا ضِقتَ به ذرعًا فلا تجعلنْ سرّك الّا عند حُرّ

وقيل لأعرابىّ استُودِعَ سرًّا فكتمه أفهمتَ قال لا بل نسيتُ، واخبرنى احمد بن عبيد قال اخبرنى ابن الاعرابىّ قال قيل لأعرابىّ كيف كتمانك السر فقال أجحدُ المُخْبِر وأحلف المستخبر، وقيل لاعرابىّ كيف حفظك للسرّ فقال انا لَاحْدُه، وممّا استحسنتُه فى كتمان السرّ قول كُثيّر

أتَنى دون ما تخشَوْن من بثّ سرّكمْ اخو ثقةٍ سهلُ الخلائق أروعُ
ضنينٌ ببذل السرّ سَمْحٌ بغيره اخو ثقةٍ عَفٌّ الوصال سَمَيْدَعُ
أبَى أنْ يَبِتّ الدهرَ ما عاش سرّكمْ سليمًا وما دامتْ له الشمسُ تَطْلُعُ

وله ايضا

كريمٌ يُميت السرَّ حتّى كأنّه اذا استنطقُوه عن حديثك جاهلُهْ
رَعَى سرّكم فى مُضْمَر القلب والحَشَا شفيقٌ عليكم لا تُخاف غوائلُهْ
وأكتُمُ نفسى بعضَ سرّى تكرُّمًا اذا ما أضاعَ السرَّ فى الناس حامِلُهْ

وقول صاحبه ايضا

لعمرِى ما أستَوْدَعتُ سرّى وسرَّها ... سِوانا حِذارًا أن تَشيعَ السرائرُ
ولا خاطبتْها مُقْلَتاىَ بنَظْرةٍ ... فتَعْلَمَ نَجْوانا العيونُ النواظرُ
ولٰكنْ جعلتُ اللّحظَ بينى وبينها ... رسولًا فأدّى ما تُجِنّ الضمائرُ

ومنه قول الاخر

لَيَهْنِكَ منّى أنّنى غيرُ مُظْهِرٍ ... هواكَ ولو أشرفتُ منه على نَحْبِى
ولَوْ أنّ خلقًا كانَمَ الحبَّ قلبَهُ ... لَمُتَّ ولم يَعلمْ بُحبّكُمُ قلْبِى

وقال اخر

لَوَ أنّ امرءًا أخْفَى الهَوَى عن ضميرِهِ ... لمتُّ ولم يَعلَمْ بذاك ضميرُ
ولٰكن سأُلقَى اللهَ والقلبُ لم يَبُحْ ... بسرّكِ والواشون عنك كثيرُ

وقال العبّاس بن الاحنف

ايا مَنْ سرورى به شِقْوةٌ ... ومَنْ صَفْوُ عيشى به أكْدَرُ
تجنّبْتَ تَطلبَ ما أستحقُّ ... به الهَجْرَ هيهاتَ لا يُقْدَرُ
وما ذا يَضُرُّكَ من شُهْرتى ... اذا كان سرُّكَ لا يُشْهَرُ
امنّى يُخاف انتشارُ الحديثِ ... وحَظّىَ فى صَوْنه أكْثَرُ
ولولمْ يكنْ فيه بُقْيَا عليكَ ... نظرتُ لنفسى كما تَنْظُرُ

وانشدنى لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومؤتَمَنٍ بالحزم فى كلّ امرِهِ ... وأسرارُه منه بحيث المقاتلُ
فلا سرُّه عن ساحة الصدرِ نازِحٌ ... ولا هُوَ عن سرٍّ تَعدّاهُ سائلُ

ولغيره فى مثله

فلَنَقْلُ للجبالِ أهْوَنُ من بَثِّ حديثٍ حَنَتْ عليه الضُلُوعُ
فلكَ اللهُ انّنى لَكَ راعٍ ... ما بدا كوكبٌ وبَرْقٌ لَمُوعُ

وانشدنى احمد بن عبد الله قال انشدنى ابن الكلبىّ لابن أُمينة

وانّنى على السرّ الذى هُوَ داخِلٌ ... اذا باحَ اصحابُ الهَوَى لَصَمومُ
وانّنى ما أستَوْدَعتِ يا أُمَّ مالكٍ ... على قِدَمٍ من عَهْدِنا لَكَتومُ

٣٩ وقال ابو الطيّب الصموم المُمْسك وكذلك الزَميت ايضا ، وقال اخر

وحاجة دون أُخْرَى قد شَجِيتُ بها خلّفتُها لِلّذى اخفَيْتُ عُنْوانا
انّى كانّى أرى مَن لا حياء له ولا امانةَ وَسْطَ الناس عُرْيانا

وانشدنى احمد بن يحيى بن الخطيم

وان ضيّع الاحرارُ سرًّا فانّنى كَتومٌ لأسرار العشير أمينُ
يكون له عندى اذا ما ضَمِنْتُه مكانًا بسوداء الفؤادِ مَكينُ

وقال بشّار بن بُرْد الموعّث

أَبْكى الذين أذاقونى مودّتَهم حتّى اذا أيْقَظونى فى الهوى رَقَدوا
لأُخرُجنّ مِنَ الدُنْيا وسِرُّهُمُ بين الجوانح لم يَعلَمْ به أَحَدُ

واحسن والله الذى يقول

يأبَى لِىَ الذمّ اخلاقٌ ومَكْرُمةٌ منّى وأُذْنٌ عَنِ الفحشاء صمّاء
والنجمُ أقرَبُ من سرّى اذا اشتمَلَتْ منّى على السرّ أضلاعٌ وأحشاء

والذى قيل فى ذلك كثير جدّا يطول به الخُطب ويتّسع فيه القول وليس قصدَنا فى كتابنا هذا المعنى وانّما تقدّمنا بذكرِ ما شرحناه ونعتِ ما وصفناه لأنّه لا بدّ للظريف من استعمال كلّما ذكرناه من حدود الادب وشرائع المروّة ، * وأعلم انّ مذهبنا فى هذا الكتاب الى معنى صفة الظرف وما يجب على الظريف استعمالُه وذكرِ ما يجب عليه تركُه ، وما اخترعنا فى كتابنا هذا علمًا من عند انفسنا يجب لنا به الامتحان ولا يلحقنا فيه عَيْبُ مَن عاب إن عاب ولا على انّه لا يُطلب لفظُه ولا يُمتنع عند معايبهم الّا مَعيب ، وانشدنا احمد بن يحيى قال انشدنى ابن السكّيت

رُبَّ غريبٍ ناصحِ الجَيْبِ موابنِ ابٍ منّهَمِ الغَيْبِ
ورُبّ عيّابٍ له منظرٌ مشتملٌ منه على العَيْبِ

ولكنّا ألّفناه وجمعناه من اقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرّفات واهل

الادب والمروّات سمعناهم ورايناهم يتكلّمون به ويستعملونه فاحببنا ان نجمع ٤٠
ذلك ونجعله لهوًا لِمَن اراد سماعه وعَلَمًا لمن اراد اتّباعه وهَدْيًا لمن
اراد رُشده ومنارًا لمن اراد قصده وطِيبًا لمن اراد شمّه وادبًا لمن اراد
فهمه وكتابُنا هذا روضةٌ تتنزّه فيها العقول وعقودُ جوهرٍ زيّنتْها الفصول
اذ لم نُخْلِه من اخبار طريفة واشعار ظريفة واشياء نمتْ الينا من زيّ
ظرفاء الناس فى الطعام والشراب والعِطر واللباس ومذهبهم فيما اجتنبوه
من ذميم الافعال واستحسنوه من جميل الشِيَم والاخلاقِ وسأشرح ذلك
وأُبيّنه بابًا بابًا لتقف عليه ان شاء الله ☆

باب ١٣
سنن الظرف

اعلمْ انّ عماد الظرف عند الظرفاء واهل المعرفة والادباء حفظُ الجوار
والوفاء بالذمار والأنفةُ من العار وطلبُ السلامة من الاوزار ولن يكون
الظريف ظريفا حتى تجتمع فيه خصال اربع الفصاحةُ والبلاغةُ والعِفّةُ
والنزاهةُ، وسألتُ بعض الظرفاء عن الظرف فقال التودّدُ الى الاخوان
وكفُّ الأذى عن الجيران، وقال اخر الظرف ظَلَفُ النفس وسخاء
الكفّ وعفّةُ الفرج، واخبرنى احمد بن عُبيد قال قال الاصمعىّ وابن
الاعرابىّ لا يكون الظرف الّا فى اللسان يقال فلان ظريف اى هو بليغ
جيّدُ المنطق، ومنه حديث عمر بن الخطّاب رضى الله عنه اذا
كان اللصّ ظريفا لم يُقطَعْ اى لانّه يكون له لسان فيحتجّ به فيدفع
عن نفسه، قال ورُوى عن محمّد بن سيرين انّه قال الظرفُ مشتقّ
من الفطنة، وقال غيره الظرفُ حُسْنُ الوجه والهيئة، وقال بعض
المشيخة الظريفُ الذى قد تأدّب واخذ من كلّ العلوم فصار وعاءً لها
فهو ظرفٌ، وقال احمد بن عُبيد معناه انّه يَعِى ادبا وعلما كما يعى ٤١
ظرف الشىء ما يكون فيه، ولذلك معنى اذا كان اللصّ ظريفا لم

يُقطع اذا كان واعيا للعلم لم يسرق الّا بتأوّل كما فعل الشعبيّ وقد دخل بيت المال فاخذ منه دراهم وانّما اراد به التأوّل لما له فيه من الحقّ، وسألت بعض متظرّفات القصور عن الظرف فقالت من كان فصيحا عفيفا كان عندنا متكاملا ظريفا ومن كان غنيّا عاهرا كان ناقصا فاجرا، وقال بعض الادباء الظرف ظَلَفُ النفس ورِقّةُ الطبع وصدقُ اللهجة وكتمانُ السرّ، وسألتُ بعض الظرفاء فقال الظرف فى اربع خصال الحَياء والكَرَم والعِفّة والوَرَع، وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه فى هذا المعنى

لَيس الظريفُ بكاملٍ فى ظرفه حتّى يكون عن الحَرام عَفيفا
فاذا تَورّع عن مَحارِم ربّه فهُناكَ يَدعوهُ الأنامُ ظَريفا

ومثله لبعض المتأدّبين

إنْ أكُنْ طامحَ اللحاظ فانّى والّذى يَملك العبادَ عَفيفُ
ليس طَرفُ الظريفِ بالنفس لَكِنْ كلُّ ذى عِفّةٍ فذاك ظريفُ

وخُبّرتُ انّ عبد الملك بن مروان وجد على بعض عمّاله فقيّده وحبسه فى داره فاشرفت عليه ابنة لعبد الملك فنظر اليها فانشأت تقول

ايّها الرامِى بالطَّرْ فِ وفى الطرف الحُتُوفُ
إنْ تُرِدْ وصْلًا فقد أمْكَنَك الظبْىُ الأَلُوفُ

فاجابها الفتى فقال

إن تَرَيْنى زانِىَ العَيْنَيْنِ فالفرجُ عفيفُ
ليس إلّا النَظَرُ الفا تِنُ والشعرُ الظريفُ

فاجابته الجارية

قد أردْناكَ على أنْ تَعتنِقْ ظَبْيًا أَلُوفا
٤٢ فتأبّيْتَ فلا زِلْـ ـتَ لِقَيدَيك حَليفا

فذاع الشعر وبلغ عبد الملك فدعا به فزوّجه ايّاها ودفعها اليه

واجتاز عبد الله بن عبد الرحمن الذى كان يُعرف بالقسّ لعبادته بسلّامة المغنّية التى صارت الى يزيد بن عبد الملك فسمعها وهى تُغنّى فوقف يستمع غناءها فادخله مولاها عليها فوقعت فى قلبه ووقع بقلبها فقالت له يوما وقد خلا مجلسُهما انا والله احبّك فقال وانا والله احبّك قالت فانا والله أشتهى ان اضع فمى على فمك والصق صدرى بصدرك واضمّك الىّ وتضمّنى اليك قال وانا والله اشتهى ذلك قالت فما يمنعك من ذلك فوالله انّ الموضع لخالٍ وما بقربنا احد فقال ويحك انّى سمعتُ الله يقول الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الّا المتّقين فانا اكره ان تكون خُلّتى لك فى الدنيا منقطعةً فى الآخرة ثمّ وثب فانصرف، وكان لعلىّ بن ابى طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج وكان له مؤذّن شابّ فكان اذا نظر اليها قال لها انا والله احبّك فلمّا طال ذلك عليها اتت عليًّا عليه السلام فاخبرته فقال لها اذا قال لك ذلك فقولى انا والله احبّك فمَهْ فاعاد عليها الفتى قوله فقالت له وانا والله احبّك فمَهْ فقال تصبرين ونصبر حتى يوفّينا من يوفّى الصابرين أجرَهم بغيرِ حساب فاعلمت عليًّا عليه السلام فدعا به فزوّجه منها ودفعها اليه، وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه فى هذا المعنى

كم قد ظَفِرتُ بمن اهوى فيمنعنى ... منه الحياء وخوفُ الله والحَذَرُ
وكم خلوتُ بمن اهوى فيقنعنى ... منه الفُكاهةُ والتحديثُ والنَظَرُ
اهوى المِلاحَ واهوى انْ اجالسَهمْ ... وليس لى فى حرامٍ منهمُ وَطَرُ
كذلك الحُبُّ لا اتيانُ مَعْصيةٍ ... لا خَيْرَ فى لَذّةٍ من بعدها سَقَرُ

ومثل ذلك قول الاخر

تفنَى اللذاذةُ ممّن نال صفْوتَها ... من الحرام ويبقى الاثْمُ والعارُ ٤٣
تبقى عواقبُ سَوْءٍ من مَغَبّتها ... لا خَيْرَ فى لَذّةٍ من بعدها النارُ

وممّا أستحسنه فى العفّة ايضا ما انشدنيه احمد بن يحيى ثعلب

لبعض نساء العرب

وبتْنا خِلافَ الحيّ لا نحن منهُمُ ولا نحن بالأعداء مختلطانِ
وبتْنا يَقِينا ساقطَ الطَلِّ والنَدى من الليل بُرْدًا يُمْنَةٍ عَطِرانِ
نَذودُ بذِكْرِ اللهِ عنّا مِنَ الصِبَى اذا كاد قَلْبانا بنا يَرِدانِ
ونَصْدُرُ عن رِيِّ العَفافِ وربّما نَقِيْنا غليلَ النفس بالرَشَفانِ

وانشدنى احمد بن يحيى ثعلب

أُحبّكِ لا من ريبةٍ كان بيننا ولا نَسَبٍ بيني وبينكِ شابكِ
أُحِبّكِ إنْ خُبِّرْتُ أنّكِ فارِكٌ لعمرِيَ انّي مُولَعٌ بالفوارِكِ
أُحبّ فتاةً أنْ تُشاغِبَ زوجَها وإنْ لم أَنَلْ من وصلها غيرَ ذالكِ

قال ابو الطيّب الفارك المُبْغِضة لزوجها يقال قد فَرِكَت المرأة زوجَها تَفْرَكُهُ اذا ابغضته وهى فارِكٌ والرجل مَفْرُوكٌ، ومثله قول الحُسَيْن بن مُطَيْر

أُحبّكِ يا سَلمَى على غيرِ رِيبَةٍ وما خَيْرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سَرائِرُهْ

ومثله ايضا قول الاخر

أتأذَنونَ لصَبٍّ فى زيارتِكُمْ فعندكم شَهَواتُ السمعِ والبصَرِ
لا يَفعلِ السُوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضميرِ ولكِنْ فاسِقُ النَظَرِ

وقال محمود الورّاق

إنّى أُحبّكِ حُبًّا لا لفاحِشَةٍ ولَلحُبُّ ليس به فى الله من بَأْسِ

وانشدنى بعض الادباء قال انشدنى اعرابىّ ببلاد نجد

وبَوْمٍ كأبهامِ الحُبارَى قطعتُهُ بمَقْمَعَةٍ والقومُ فيهِمْ تحرُّفُ
اذا ما هَمَمنا صدّ رِيُّ نفوسِنا كما صدّ من بعد التهمُّم يوسُفُ

قال ابو الطيّب قوله كابهام الحبارى يريد نهاية ما يكون من القِصَر،

٤٤ وانشدنى اخر

ما الحُبُّ الّا قُبَلٌ وغَمْزُ كفٍّ وعَضُدْ
او كُبُتٌ فيها رُقًى أنفَذُ من نَفْثِ العُقَدْ

ما الحبُّ إلّا هٰكذا إن نُكِحَ الحبُّ فَسَدْ
مَن لم يكن ذا عِفّةٍ فإنّما يَبغي الوَلَدْ

ومن ذلك قول بُثَيْنة لجَميل وقد قال لها هل لك يا بثينة ان نحقّق قول الناس فينا فقالت له مَهْ دَعْ حبّنا مكانه إنّ الحبّ اذا نُكِح فسد، ودخلت بُثينةُ على عبد الملك بن مروان فقال لها والله يا بثينة ما ارى فيك شيئا ممّا كان يقول جميل قالت يا امير المؤمنين انّه كان يرنو الىّ بعينين ليستا فى رأسك قال وكيف صادفتيه فى عفّته قالت كما وصف نفسه حيث يقول

لا والذى تَسجُدُ الجِباهُ له ما لِى بما دُون ثَوْبِها خَبَرُ
ولا بِفِيها ولا هَمَمْتُ به ما كان إلّا الحديثُ والنَّظَرُ

وقيل لاعرابىّ هل زنيتَ قطّ قال معاذَ الله انّما هما اثنتان امّا حرّةٌ آنَفُ لها من فسادها وامّا أمةٌ آنف لنفسى من فسادى ايّاها، ورُوِى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال، دخلتُ على جميل بن معمر العُذرىّ وهو عليل وانّى لأرى آثار الموت على وجهه فقال يابن سهل انقول انّ رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما ولم يشرب خمرا ولم يأتِ بفاحشة انترجو له قلت اى والله فمن هو قال انّى لأرجو أن اكون انا ذلك الرجل قلت بعد زيارتك بثينةَ وما تُحُدِّثَ به عندكما فقال والله انّى لفى آخر يوم من ايّام الدنيا واوّل يوم من ايّام الاخرة ولا نالتنى شفاعةُ محمّد صلّى الله عليه وسلّم إن كنتُ حدّثتُ نفسى فيها بريبة قطّ قال فما انقضى يومه حتّى مات، وقال الاصمعىّ كان عمر بن ابى ربيعة وابن ابى عتيق جالسَيْن بفناء الكعبة فمرّت بهما امرأة من ربيعة وقيل من آل ابى سفيان فدعا عمر بكَتف فكتب ٣٥
فيها

ألمّا بذات الخال فاستطلعا لنا على العهد باقٍ وُدُّها أمْ تَصَرَّمَا
وقُولا لها إنّ النَوى أجْنَبِيّةٌ بنا وبِكُمْ قد خِفْتُ انْ تَتَنَيَّمَا

فقال له ابن ابى عتيق ما تريد الى امرأة مُسلمة محرَّمة تكتب اليها بمثل هذا فقال أترى ما سبَّبتُ فى الناس من الشعر ورُبَّ هذه البيِّنة ما قَبَّل منها وما دَبَّر ما قوَّلتُ امرأةً قطّ ما لم تَقُلْه ولا طالعتُ فرج حرامٍ قطّ ، وقيل لكُثيِّر عَزَّة هل نلتَ من عزّة شيئا طول مدّتك فقال لا والله الّا انّه رُبَّ ما كان يشتدّ بى الامر فآخذ يدها فأضعها على جبينى فأجد لذلك راحةً ، وقال اعرابىّ وخلا بامرأة كان يتعشّقها ما زال القمرُ يُريبنيها فلمّا غاب أرتْنيه قبل فما كان بينكما قال اقصى ما احلّ اللهُ وادنى ما حرّم الله عزّ وجلّ اشارةٌ فى غير باس ودنوّ فى غير مِساس وانشأ يقول

ولَرُبَّ لَذّةِ ليلةٍ قد نِلْتُها وحرامُها بحلالها مدفوعُ

قال اعرابىّ من فزارة عشقتُ جارية من الحىّ فحادثتُها سنين كثيرةً والله ما حدّثتُ نفسى بريبة قطّ سوى أن خلوتُ بها فرأيت بياض كفّها فى سواد الليل فوضعتُ كفّى على كفّها فقالت مَهْ لا تُفسد ما صلح فأرفضّ جبينى عَرَقًا ولم أَعُدْ ، واعلم أنّ الظرف ليس بمستغنًى عنه ولا هو ممّا يُخلُّ منه ولا يُعنّف فيه صاحبُه ولا يفنّد عليه طالبُه بل هو انبل ما استعمله العلماء وصبا اليه الادباء وتزيّنوا به عند اودّائهم وتحلّوا به عند اخلّائهم وربّما تكلّفه قوم ليس من اهله فظُرف وعاناه فلطُف وأنّه من المطبوعين احسنُ منه من المتكلّفين وللمتكلّف علامات تظهر فى حركاته وتبيّن فى لحظاته لا يسترها بتصنّعه ولا تتغيّب بتستّره وانّ المطبوع على الظرف ليَشهَدُ له القلب عند معايَنته بحلاوته وتَسكن النفس عند لقائه الى مجالسته وتصبُو الى محادثته وترتاح الى مشاهدته وهو بيّنٌ فى شمائله ظاهرٌ فى خلائقه بيّنٌ فى منطقه غيرُ مستترٍ عند صمته دلائلُه واضحة فى مشيته وزيّه ولفظه يُستدلّ عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة ألا ترى انّ من زيّهم التقزّز والنظافة والملاحة واللطافة واظهارُ البزّة وطِيبُ

٤٩

الرائحة فالنفوس اليهم تائقة والقلوب وامقة والعيون رامقة والارواح عاشقة وانّ من زيّهم الوقار والخشوع والسكون والخضوع والتصنّع بالاخلاق الوضيّة والشيَم السَنيّة والمذاهب الجميلة والهِمَم الجليلة وممّا يُستدلّ به على كمال ادبهم ويُعرف به رُجْحان همهم كثرةُ استعمالهم الهوى وطولُ مُعاناتهم الجوى وهو من احسن مذاهبهم واجلّ مناقبهم ولسنا نقول انّ الهوى ليس بفرض على ذوى العقل كما قال ذو التقصير والجهل بل هو من اوكد الفرض عليهم واثبتِ الحجّة للمتفرّس الناظرِ اليهم على حُسْنِ تركيب الطباع والغرائز وصفاء جواهر الهمم والنحائز اذ هو عند ذوى العلوم والاحكام من اجمل مذاهب الادباء والكرام، وقال محمود الورّاق فى ذلك اذ كان الحبّ عنده كذلك

أَلم تَعلمْ فِداك أَبِى وأُمّى بأنّ الحبّ من شِيَمِ الكِرامِ

وليس يخلو اديب من هوًى ولا يَعرَى من ضَنًى لانّ الهوى كما وصفتْه العلماء وكما قال فيه الحكماء انّه هو أوّل باب تُفتَتَح به الاذهان وينفسح به الجَنان وله سَوْرة فى القلب يحيا بها اللبّ وقد يُشجِع الجبانَ ويسخّى البخيلَ ويُطلِق لسانَ العىّ ويقوّى حزم العاجز ليأنس به الجليس ويمتنع به الانيس ويذلّ له العزيزُ ويَخضع له المتجبّر ٤٧ ويَبرز له كلّ محتجب وينقاد له كلّ ممتنع وهو اميرٌ مطاع وقائد متّبَع وليس بأديب عندهم مَن خرج من حدّ الهوى، وقد قال الاحوص ابن محمّد الانصارى

اذا انت لم تَعشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكُنْ حَجَرًا من يابس الصخر جَلْمَدَا
هل العيشُ الّا ما تَلذّ وتَشتهى وإن لامَ فيه ذو الشنان وفَنّدَا

واجتاز رجل بمجنون بنى عامر وهو يخوض سُور الحوض فقال له ما بك يا فتى ولم يعرفه فانشأ يقول

بِىَ البِأْسُ او داءُ الهُيام اصابَنى فأيّاك عنّى لا يكن بك ما بِيَا

قال ابو الطيّب الهُيام داءٌ يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تَروَى ويقال

للابل التى يصيبها ذلك الهيم قال الله جلّ ثناؤه فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ، فعرفه فقال أعاشق انت قال نعم وانشأ يقول

اذا انت لم تَعشَقْ فتُصْبِحَ هائمًا ولم تك معشوقًا فأنت حمارُ

وقال

الحبّ اوّل ما يكون لَجاجَةٌ تأتى به وتَسوقُهُ الأقْدارُ

ورُوينا عن الهزنادىّ عن هشام عن ابن سيرين قال كانوا لا يرون بالعشق بأسًا فى غير رِيبة، وقيل لبعض البصريّين انّ ابنك قد عشق فقال وما بأس به انّه اذا عشق نظُف وظرُف ولطُف، وقيل لبعض العرب متى يكون الفتى بليغا قال اذا وصف هوًى حيًّا، وانشدنى بعض الادباء

وما الناس الّا العاشقون ذَوُو الهوى وما خيرُ فيمَنْ لا يحبّ ويَعْشَقُ

وقال اخر

وما تَلِفَتْ الّا مِنَ العِشق مُهْجَتِى وهل طاب عيشٌ لامرئ غيرِ عاشِقِ

وقال اخر

وما خيرُ فى الدنيا اذا انت لم تَزُرْ حبيبًا ولم يَطرب اليك حَبيبُ

وقال اخر

وما سَرَّنى انّى خلىٌّ من الهوى ولا انّ لى ما بين شَرْقٍ الى غَرْبِ

واعلم انّ اوّل علامات الهوى على ذى الادب تحوُّلُ الجسم وطولُ السقم واصفرارُ اللون وقلّةُ النوم وخشوعُ النظر وإدمانُ الفكر وسُرعةُ الدموع
٤٨ واظهارُ الخشوع وكثرةُ الانين واعلانُ الحنين وانسكابُ العبرات وتتابُعُ الزفرات ولن يَخفى المحبّ وإن تستّر ولا ينكتم هواه وان تصبّر ولن يَغْبى ادّعاءَ انّه قد قارن العشق والهوى لانّ علامات الهوى ناثرة وآيات الادّعاء ظاهرة، وقد قال الاحوص الانصارىّ

ما عالَجَ الناسُ مثلَ الحبّ من سَقَمٍ ولا بَرَى مثلَه عَظْمًا ولا جَسَدا
ما يَلبَث الحبّ أن تبدو شواهِدُه مِنَ المُحِبّ وإن لم يُبْدِه أبَدا

وقال اخر

ما يعرف الحزن الّا كلّ مَن عَشِقَا وليس من قال انّى عاشقٌ صدقا
للعاشقين نُحُولٌ يُعرَفون به من طُول ما حالفوا الأحزانَ والأَرَقا

وحُدّثتُ عن الزبير بن بكّارٍ قال رايتُ رجلا بناحية الثغر عليه اثر ذلّةٍ وخضوع واستكانةٍ وخشوعٍ كان يُكثِر التنفّس ويُخفى السكوت ويُبدى الانين وحركاتُ الحبّ لا تخفى فى شمائله ولا يسترها بتصاوُنِه فسالتُه فى بعض ايّامه وقد خلوت به عن حاله فكان جوابه وقد تحدّرت الدموع من عينيه

انا فى أمرَىْ رَشادٍ بين غَزْوٍ وجِهادِ
بَدَنى يَغزُو عَدُوّى والهوى يغزو فُؤادِى

وركبت سُكَيْنةُ ابنة الحُسين بن علىّ ذات ليلة فى جواريها فمرّت بعروة بن اذينة اللَيْثىّ وهو فى فناء قصر ابن عُيَيْنة فقالت لجواريها مَن الشيخ فقالوا عروة فعدلت اليه فقالت يا ابا عامر انت تزعم انّك لم تعشق قطّ وانت تقول

قالت وأبثثتُها وجدى فبُحْتُ به
قد كنتَ عندى تحبّ السترَ فاستترِ
ألستَ تُبصِر مَن حولى فقلتُ لها
غَطّى هواكِ وما ألقَى على بَصَرِى

كلّ من ترى حولى من جوارى احرار إن كان خرج هذا الكلام من قلبٍ سليمٍ قطّ، فهذان قد كتما هواهما فنمّتْ شواهدُ نجوَيهما لانّ مَن اغتمس فى بحر الهوى نمّت عليه شواهدُ الضنى؛ فأمّا اهل الدعاوى الباطلة الذين ليست اجسامُهم بناحلة ولا الوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهلة فهم عند ذوى الفراسة يَكذبون وعند ذوى الظرف لصحّتهم يوبّخون، وقد رُوى انّ العبّاس بن الاحنف قال بينا انا بالطواف اذا بثلاث جوار اتراب فلمّا ابصرنَنى قلن هذا العبّاس ودنتْ الىّ

احداهنّ فقالت يا عبّاس انت القائل

ما ذا لقيتُ من الهوى وعذابه طلعتْ عليّ بليّةٌ من بابه

قلت نعم قالت كذبتَ يابن الفاعلة لو كنتَ كذاك كنت كأنا ثمّ كشفتْ عن اشاجع مُعرّاة من اللحم وانشأت تقول

ولمّا شكوتُ الحبّ قالت كذبتنى فما لى أرى الاعضاء منك كواسيا

فلا حُبَّ حتّى يلصَقُ الجلدُ بالحشا وتخرس حتّى لا تجيبَ المناديا

ودخل ابراهيم بن المهدىّ على امير المؤمنين وكان ابراهيم اجمل البطن كثير اللحم والشحم فقال له المأمون بالله يا عمّ عشقتَ قطّ قال نعم يا امير المؤمنين وانا الساعة عاشق قال وانت على هذه الجثّة والشحم الكثير ثمّ انشأ المأمون يقول

وَجْهُ الذى يَعشَقُ معروفُ لانّه أصفرُ منحوفُ

ليس كمنْ امْسَى له جثّةٌ كانّه للذبْح معلوفُ

فاجابه ابراهيم بن المهدىّ

وقائلٍ لستَ بالمُحبّ ولَوْ كنتَ محبّا لذُبْتَ من زَمَنِ

فقلتُ قلبى مُكاتِمٌ بَدَنى حُبّىَ فالحبُّ فيه مُختزَنُ

أحَبَّ قلبى وما دَرَى بدنى ولو درى ما اقام فى السمَنِ

هذان ايضا قد ادّعيا للحبّة ففضحهما شاهدُ النظر ولم يجُزْ ادّعاؤهما على ذى المعرفة والبصر، وقول ابراهيم احبّ قلبى وما درى بدنى محال لا يَعلق القلب فيَسلم الجسم ولكنّه لاستحيائه قد احتجّ بحجّة ضعيفة، وانشدنى بعض المشيخة فى مثل ذلك

وقائلةٍ ما بالُ جِسْمِكَ سالمًا وعَهْدِى بأجسام المُحبّين تَسْقَمُ

فقلتُ لها قلبى لجسمِىَ لم يَبُحْ بحُبّى فجسمى بالهوى ليس يَعْلَمُ

فالعرب تَمدح بالضُمْر وتَذمّ بالسمَن وتَنسب اهلَ النحول الى الادب والمعرفة واهلَ السمَن الى الغدامة وقلّة الفهم والفلافسة والاطبّاء فى ذلك قول يُثبت ما ادّعت العرب وزعموا انّ مَن غلب عليه البَلْغَمُ عظُم

جسمه وكثر شحمه ولحمه وقلّ فهمه وطال سُباته وانعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه واحتواء الرطوبة على لبّه ومَن كان اغلبُ مزاجاته المرّة خفّ جسمه وقلّ لحمه وذاب شحمه وحسُن ذهنه وصحّ فهمه لانّ النحول علامةُ المتفرّسين ودلالةُ المتوسّمين لا يكاد ان تخطئ فيه الفراسة ولا تكذب فيه العيافة لها اخبرتك من غلبة احد المزاجَيْن على صاحبه وابتناء قراره فى مركّبه وربّما انجب السمَن وخاب الهُزل ولا يكون ذلك الّا فى الفرد الشاذّ من الرجال، ومن امثال العرب فى ذلك البِطْنة تُذْهِب الفِطْنة، وروى انّ جميل بن معمر العُذرىّ صحبه رجل من عُذرةَ وكان بطينا أكولا فجعل يشكو اليه هوى ابنة عمّ له فأنشأ جميل يقول

وقد رابنى من جعفرٍ أنّ جعفرًا مُلِحٌّ على قُرْصٍ ويشكو هوى جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِىَّ الهوى لم تكن كذا بطينًا وأنساك الهوى كثرةَ الأكْلِ

ومَن عَشِق عندهم فلم ينحلْ جسمه ولم يطلْ سقمه ويتبيّن الخشوع فى حركته والذُلّ فى نغمته نسبوه الى فساد الطبع ونقصان اللبّ وبُعْد الفهم وموت القلب ومن ادّعى المحبّة فلم ينحل ولم يسهر ولم يخشع ولم يذلّ ولم يخضع ولم يحمل نفسه على الامور المُتعبة والشدائد الفظيعة ويركب فيها المَراكب الوَعِرة ويتقدّم على الاشياء المهولة والاهوال ٥٥
المخوفة التى يلاقى فيها الموت ويعاين فيها الفوت ويباشر فيها الهَلَكة ويُغرِّر فيها بالمُهجة ويَصبر منها على حتفه ويخاطر بنفسه ويَرِد الموارد التى يلاقى فيها الموت ويَشرف منها على مَهول الامر الذى فيه تلفُه وحَيْنُه وحتّى يَعصى فى هواه الاقاربَ ويعالج فيه العجائب فيكون كما قال العَرجىّ

كم قد عَصَيْتُ اليك من متنصّحٍ دانى القرابة او وعيدِ أعادى
وتَنوفةٍ أرْمى بنفسى عَرْضَها شَوْقًا اليك بلا هدايةِ هادِى

وكما قال سُوَيْد بن ابى كاهل

كم جَشِمْنا دون سلمى مَفْهَمًا نازحَ الصَّوتِ اذا الآلُ لمَعْ
وكذاك الشوقُ ما اشجعَهُ يركب الهَوْلَ ويَقْحِمُ مَن وَزَعْ

فليس بعاشق عندهم ولا يثبت له اسم الهوى ولا يلحق بالظرفاء ولا يُعدّ فى الادباء لانّ الهوى عندهم فى النحول والذهول والضنى والعناء والأَرَق والقَلَق والسهر والفكر والذُلّ والخضوع والانكسار والخشوع وادمان البكاء وقلّة العزاء وكثرة الانين وطول الحنين وليس بعاشق من خرج عن هذه الصفات وانتقل من هذه الحالات او وُسِم بغير هذه العلامات وعُرف بغير هذه الدلالات، انشدنى بعض الادباء

علامةُ مَن كان الهوى فى فؤاده اذا ما لَقِى أحبابَه يتحيَّرا
ويَصفرّ لونُ الوجه بعدَ احمرارِه فان حرّكوه للكلام تشوَّرا

انشدنى ابو الحسن بن الرُومىّ

أَرى ماءً وبى عَطَشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ الى الوُرُودِ
أما يَكفيكِ أنّكِ تملكينى وأنّ الخَلقَ كلّهمُ عَبيدِى
وأنّكِ لو قطعتِ يَدِى ورِجلى لقلتُ مِنَ الهوى احسنتِ زِيدِى

وحُدّثتُ عن ابن مخارق عن ابيه قال كنّا عند المأمون يوما فقام فدخل الى حُرَمه وخرج وعيناه تذرفان فقال لى يا مخارق تغنّ لى بهذين البيتين

سلامٌ على مَن لم يُطِقْ عند بَيْنِه سلامًا فأومَى بالبَنان المخضَّبِ
فما أستطعتُ الّا بالبُكاء جوابَهُ وذلك جُهْدُ المستهام المعذَّبِ

فحفظتُهما وتغنّيتُ بهما فجعل يبكى ويبتحب فى بكائه ويزفر ثمّ قال لنا اتدرون ما قصّتى قلتُ امير المؤمنين اعلمُ وان شاء اعلمَنا قال انّى دخلتُ الى بعض المقاصير فرأيت جارية لى كنت اجد بها وجدا شديدا وهى للموت فسلّمتُ عليها فلم تطق ردّ السلام فأشارت باصبعها فغلبتنى العبرة وأرهقتنى الزفرة فخرجت من عندها فحضرنى هذان البيتان من باب قصرها الى باب مجلسى ثمّ امر برفع الشراب فما رايتُ

يوما اكدر منه، وأُنشدتُ للمعتصم فى بعض جواريه

ايا مُنقِذَ الغَرْقَى أَجِرْنى مِنَ الّتى بها نَهِلتْ روحى سَقامًا وعَلّتِ
لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّى سألتُها قَذَى العَيْن من سافِى التراب لَضَنّتِ

وأُنشدتُ للمتوكّل فى جارية له

أُمارِحُها فتَغْضَبُ ثمّ تَرْضَى وكُلُّ فَعالِها حَسَنٌ جَميلُ
فإن تَغضبْ فأحسنُ ذاتِ دَلٍّ وان ترضى فليس لها عَديلُ

حدّثنى ابو العبّاس بن الفضل الرَبَعىّ قال حدّثنى علىّ بن الجهم قال حُمّ المتوكّل يوما وكان ذلك بعقب شرّ وقع بينه وبين قَبيحة فرماها بخدّة فغضبت واحتجبت فحُمّ بعقب ذلك ودخلنا عليه واذا القَمَح قائم فى يده قارورة فيها الماء ويحيى بن ماسَوَيْه ينظر اليها فقال ليس ارى الّا ما احبّ فقلت يا امير المؤمنين أُنشدك ابياتا فقال لى أنشِدْ فأنشدتُه

تنكّرَ حالَ علّتِىَ الطبيبُ فقال ارى بجسمك ما يُريبُ
جسستُ العِرْقَ منك فدَلّ عندى على داءٍ له شأنٌ عجيبُ
فيا هذا الذى بك هاتِ قُلّى فكان جوابُهُ منّى النحيبُ
فجِسْمى بالحبيبِ بُلِى سَقامًا وقَلْبى يا طبيبُ هُوَ الكئيبُ ٥٣
فحرّك رأسَه ودنا الىّ وقال الحبُّ ليس له طبيبُ
فأعجَبَنى تظرُّفُه علىّ فقلتُ بَلَى اذا رَضِىَ الحبيبُ
فقال هُوَ الشفاءُ فلا تَوانَ فقلتُ اجلْ ولكنْ لا تُجيبُ
ألا هلْ مُسْعِدٌ يبكى لشَجْوِى فإنّى هاهُنا أبدًا غريبُ

فضحك ودعا بالشراب وشربنا معه ووجّه الى قبيحة فوقع الصلح بينهما وخرجتْ عندها رقعة بخطّ فضل الشاعرة

لأصبرنّ على ما بى مِنَ المَضَضِ حتّى اموتَ ولا يَشعُرْ بِىَ الناسُ
ولا يقال شَكا مَن كان يَعشَقُهُ إنّ الشكاة لِمَن يهوى هُوَ الياسُ
ولا أبوحُ بسِرٍّ كنتُ اكتمُهُ عند الجليس اذا ما دارَتِ الكاسُ

واما من عشق من الشعراء فما يحصرهم عدد ولا يحصيهم احد، وقد عشق اكثر العرب بل كلهم قد عشق فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصبوة والغزل قيس مجنون بني عامر عاشق ليلى وقيس بن ذريح عشق لبنى وتوبة بن الحميّر عشق ليلى الاخيلية وكثير عشق عزة وجميل بن معمر عشق بثينة والمؤمل عشق الدلفاء ومرقش عشق اسماء ومرقش الاصغر عشق فاطمة بنت المنذر وعروة بن حزام عشق عفراء وعمرو بن عجلان عشق هند وعلي بن اديم عشق منهلة والمهذب عشق لذة وذو الرمة عشق مية وقابوس عشق منية والمخبل السعدي عشق الميلاء وحاتم طيء عشق ماوية ووضاح اليمن عشق ام البنين والعمر بن ضرار عشق جمل والنمر بن تولب عشق حمزة وبدر عشق نعم وشبيل عشق قالون وبشر عشق هند وعمرو عشق دعد وعمر بن ابي ربيعة عشق الثريا والاحوص عشق سلامة واسعد بن عمرو عشق ليلى بنت صيفي ونصيب عشق زينب وسحيم عبد بني الحسحاس عشق عميرة وعبيد الله بن قيس عشق كثيرة وابو العتاهية عشق عتبة والعباس بن الاحنف عشق فوز وابو الشيص عشق اسامة فهاؤلاء قليل من كثير ممن عشق وانما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ليقل به الخطاب ويحسن به الكتاب ولكل واحد منهم سبب في حبه وحديث في عشقه يطول شرحه ويكثر وصفه ونحن مفردون لاهل العشق كتابا نذكر فيه اخبار المتيمين وملح المتعشقين واشعار المتغزلين مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتفى ان شاء الله تعالى، وقد شهر ايضا بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب منهم ابو كثير الهذلي وابو صخر الهذلي وابو دهبل الجمحي وريسان العذري والصمة بن عبد الله القشيري وابن اذينة وابن الدمينة وابن الطثرية وابن ميادة والحسين

٥٤

ابن مُطَير الى اخرين لا يحصيهم العدد ولا يبلغهم الامد وقد ضُرِب
فى عُرْوة بعشقه المَثَل لانّه كان اطولهم صبوةً واكثرهم فى العشق كثرة،
انشدنى احمد بن يحيى لابى وَجْزة السعدىّ

وفى عُروةَ العُذرىّ إن مُتَّ أُسْوَةٌ ... وعمرو بن عَجْلانَ الذى فَتَنَتْ هِنْدُ
وفى مثلُ ما ماتا به غير أنّنى ... الى اجَلٍ لم يأتِنى وقتُه بَعْدُ
هل الحُبُّ إلّا عَبْرةٌ بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الاحشاء ليس له بَرْدُ
وفَيْضُ دموعِ العين بالليل كلّما ... بَدَا عَلَمٌ من أرضكم لم يكن يَبْدُو

وقال كُثيّر

واصبحتُ ممّا أحدثَ الدهرُ خاشعًا ... وكنتُ لَرَيْبِ الدهر لا أتخشّعُ
وعُروةُ لم يَلقَ الذى قد لَقِيتُه ... بعَفْراءَ والنَّهْدِىُّ ما أتفجّعُ

وقال جرير

هل أنتِ شافِيَتِى قلبًا يَهيم بكُمْ ... لم يَلقَ عُروةُ من عَفْراءَ ما وَجَدَا

وقال ايضا

بالعَنْبَرِيّة والنَّحيت أوانِسٌ ... قُدْنَ الهوى بتَخلُّبٍ وعِذامِ ٥٥
هل لا نَهيتُكَ اذ قتلْنَ مُرقِّشًا ... امّا صنعْنَ بعُروة بنِ حِزامِ

وقال الاحوص الانصارىّ

لا شَكَّ انّ الذى بى سوفَ يَقتُلُنى ... إن كان أهْلَكَ حبٌّ قبلَه أَحَدَا
احببتُها فوَتغتْ الناسَ كلَّهمُ ... يا رَبِّ لا تَشفِنى من حبّها ابَدَا
لو قاسَ عُروةُ والنَّهْدىُّ وَجْدَهما ... لكان وجدى بسُعْدَى فوق ما وَجَدَا

وقال ايضا

اذا جئتُ قالوا قد اتى وتهامَسُوا ... كأنْ لم يَجِدْ فيما مضى احدٌ وَجْدى
فعُروةُ سَنَّ الحبَّ قبلِىَ اذ شَقِى ... بعَفْراءَ والنهدىّ مات على هِنْدِ

وقال جميل بن معمر

وما وجدتْ وجدى بها أمُّ واحدٍ ... ولا وجد النَّهْدىُّ وجدى على هِنْدِ
ولا وجد العُذرىُّ عروةُ اذْ قَضَى ... كوَجدِى ولا مَن كان قبلى ولا بَعْدِى

على انّ مَن قد ماتَ صادف راحةً وما لِفؤادى من رَواحٍ ولا رُشْدِ

وقال مروان بن ابى حَفْصة

أَرْدَيْتَ عروةَ والمرقّشَ قبلَهُ واخا بنى نَهْدٍ تركتَ قتيلا
ولقد تركتَ ابا ذُؤيبٍ هائمًا ولقد قتلتَ كُثيّرًا وجَميلا
وتركتَ لابن ابى ربيعةَ مَنطِقًا فيهنّ اصبحَ سائرًا مَحْمُولا

وانشدنى عمرو بن قَنان لنفسه

انّ الأُولَى مانوا على دِينِ الهَوَى وَجَدوا المَنيّةَ مَنْهَلًا معسُولا
قَيسٌ وعمرٌو والمرقّشُ قبلَهم كانوا لِتَنزيلِ الهوى تأويلا
نَدَبوا الطُلولَ لأهلِها لا أنّهم عَشِقُوا مَغانِىَ أربُعٍ وطُلولا

ولبعض المتأدّبين

يا عَذُولِىّ قد هَوِيتُ فكُفّا انّنى بالهوى المُبِيتِ رَضِيتُ
ماتَ قيسٌ وعروةٌ وجميلٌ وأرانى بمَوْتِهِمْ سأموتُ

٥٦ وقال جميل بن معمر

قد ماتَ قبلى اخو نَهْدٍ وصاحِبُهُ مُرقّشٌ واشتقى من عروةَ الكَمَدُ
وكلُّهمْ كان فى عِشقٍ مَنيّتُهُ وقد وجدتُ بها فوقَ الذى وَجَدُوا
إنْ لم تُنِلْنى بمعروفٍ تجود به او يَدفع اللهُ عنّى الواحدُ الصَمَدُ

وقد احسنت والله امرأة من خَثْعَم ان تقول

فأُقسِمُ أنّى قد وجدتُ بجَحْوَشٍ كما وجدتْ عَفْراءُ بابنِ حِزامِ
فما انا الّا مثلُها غيرَ انّنى معلّقةٌ نفسى لِيومِ حِمامِ

واحسن الذى يقول

عَجِبتُ لعُروةَ العُذرِىّ أضحى أُحاديثًا لقومٍ بعد قَوْمِ
وعروةُ مات مَوْتًا مستريحًا وكيف بمَيّتٍ فى كلّ يَوْمِ

وبلغنا انّ منهم من عشق صُورةً فى حَمّام وخيالا فى منام وكفّا فى حائط ومثالا فى ثوب والعشقُ ألوان وانواع وضروب وفنون وامرُه عجيب ، وقال بعض الشعراء

أُبيتُ كأنّى للكواكب عاشقٌ فأكثرُ همّى أن تزولَ الكواكبُ
عَجِبتُ لما يَلقَى منَ العشْق اهلُه وفيما يُلاقى العاشقون عجائبُ

وبلغ العشق من عروة بن حزام أنْ افرده ببلائه وعذّبه بدائه وآنسه بانفراده وشرّده عن بلاده، وحُكِى عن ابن ابى عتيق قال بينا انا اسيرُ فى ارض بنى عُذرة اذا انا ببيتٍ حريرٍ فدنوتُ منه فاذا عجوز تمرّض شابّا وقد نهكتْه العلّة وبانت عليه الذلّة فسألتُها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعتُه يقول

مَن كان مِن أُمّهاتى باكيًا لغَدٍ فاليومَ إنّى ارانى اليومَ مقبُوضَا
تَسَمَّعيه فانّى غيرُ سامعةٍ اذا علوتُ رِقابَ القوم معرُوضَا

فقلت انت عروة بن حزام قال نعم انا الذى اقول

جَعلتُ لعرّاف اليمامة حُكْمَهُ وعرّافِ نَجْدٍ انْ هما شَفَيانِى
فقالا نَعَمْ تُشفَى من الداء كلّه وقاما مع العُوّاد يبتدِرانِ ٥٧
فما تَرَكا من سَلْوةٍ يَعلمانِها ولا شَربةٍ الّا بها سقَيانى
فقالا شفاك اللهُ واللهِ ما لنا بما حَمَلتْ منك الضلوعُ يَدانِ
فلَهْفِى على عَفْراء لهفًا كانّه على النحر والاحشاء حَدُّ سنانِ
فعَفْراءُ أحْظَى الناسِ عندى مودّةً وعفراء عنّى المُعْرِضُ المُتوانِى

ثمّ خفق خفقةً فتوهّمتُ انّها غَشْية فتنحّيتُ عنه ودنت العجوز منه فما برحتُ حتّى سمعتُ الصيحة فاذا هو قد فارق الدنيا، وبلغ العشقُ ايضا من مجنون بنى عامر ان اخرجه الى الوسواس والهَيَمان وذهاب العقل وكثرة الهَذَيان وهبوط الاودية وصعود الجبال والوَطْء على العوسج وحرارة الرمال وتمزيق الثياب واللعب بالتراب والرمى بالاحجار والتفرّد بالصحارى والاستيحاش من الناس والاستئناس بالوحش حتّى كان لا يعقل عقلا فاذا ذُكِرتْ لَيْلَى ثاب اليه عقله وافاق من غَشْيته وتجلّت عنه غَمْرته وحدّثهم عنها اصحّ الرجال عقلا واخلصهم ذِهْنا لا ينكرون من حديثه شيما فاذا قطع ذكرها رجع الى وسواسه وهذيانه

وتماديه فى ذهاب عقله، وقد حُكى عنه فى اوّل ابتداء وسواسه انّه قيل لابيه لو اخرجتَ قيسًا ايام الموسم وامرتَه بأن يتعلّق باستار الكعبة ويقول اللهمّ أَرِحْنى من حبّ ليلى لعلّ الله كان يُريحه من ذلك ففعل فلمّا طاف بالبيت أَمَرَه فتعلّق باستار الكعبة وقال قُل اللهمّ ارِحْنى من حبّ ليلى فقال اللهمّ زِدْنى لِليلى حبًّا الى حبّها وأَرِنى وجهها فى خير وعافية فضربه ابوه فانشأ يقول

ذَكرتُك ولْخَيْفُ لَه ضَجيجٌ بمكّةَ والقلوبُ لها وَجيبُ
فقلتُ ونحن فى بَلَد حَرامٍ بِه للّه أُخلِصَتِ القلوبُ
أتوبُ اليك يا رحمٰنُ ممّا علمتُ فقد تظاهرَتِ الذُنوبُ
وامّا من هوى لَيْلَى وتَرْكى زيارتَها فانّى لا أتوبُ
وكيف وعندها قلبى رَهينٌ اتوبُ اليكَ منها او أُنيبُ

وقال ايضا

دعا المُحْرِمون اللهَ يستغفرونَهُ بمكّةَ شُعْثًا كَىْ تُمَحّى ذُنوبُها
وقلتُ لِرَبّ الناس اوّلُ سألتنى لنفسىَ ليلَى ثم انتَ حسيبُها
فإن أُعْطَ ليلَى فى حياتى لا يَئِبْ الى الله عبدٌ توبةً لا اتوبُها

وقال ايضا

فلو أنّ ما بى بالحَصَى فَلَقَ الحصى وبالريح لم يُسْمَعْ لهنّ هُبوبُ
ولو انّنى أستغفرُ اللهَ كلّما ذكرتُكِ لم يُكتَبْ علىّ ذُنوبُ

وبات فى بعض ليالى حَجّه تحت شجرة فانتبه بنَوح حمامة فانشأ يقول

لقد هَتَفَتْ فى جَنْح ليلٍ حمامةٌ على فَنَنٍ تدعو وانّى لَنائمُ
فقلتُ اعتذارًا عند ذاك وانّنى لقلبىَ فيما قد رأيتُ لَلائمُ
أأزعمُ أنّى عاشقٌ ذو صبابةٍ بلَيْلَى ولا ابكى ويبكى الحمائمُ
كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقًا لَما سبقتْنى بالبكاء الحمائمُ

وسمع عتقًا من الليل وهو ينادى يا لَيْلَى فخرّ مغشيًّا عليه ثمّ افاق

وهو يقول

وداعٍ دعا اذ نحنُ بالخَيْف من مِنًى ... فهيَّج احزانَ الفؤادِ وما يَدْرِى
دعا باسم لَيْلَى اسْخَنَ اللهُ عينَه ... ولَيلَى بأرضٍ عنه نازحةٌ قَفرِ
عرضتَ على قلبى العَزاءَ فقال لى ... مِنَ الآنَ فاجزعْ لا أُعِزُّك من صَبْرِ
اذا بان مَن تَهوَى واسْلَمَك النوَى ... ففُرقتُهُ مَن تهوى احرُّ من الجَمْرِ

وقال ايضا

فلَبَّيْكَ مِن داعٍ دعا ولَوَ انّه ... صَدًى بين احجارٍ لظلَّ يُجيبُها

وقد احسن اذ حكم على صدًى فى رمسه باجابة لدعوتها والمبادرة الى تلبيَتها وهكذا فلتكُنْ غلبةُ العشق وصِدقُ الهوى، ومثل ذلك قوله ايضا

لمسّتُ ثيابى إن قدرتُ ثيابها ... ولم يَنْهِنى عن مسّهنّ حَرامُها ٥٩
ولو شَهِدتْنى حين تحضر مِيتتى ... جلا سَكَراتِ الموت عنّى كلامُها

ومثل ذلك قول الاخر

ولو كلّمتْنا بين زمزمَ والصفا ... وبين حطيم البيت أَصْبَى كلامُها
ولو مكثتْ بعد التطوّع ساعةً ... بمكّةَ ولّاها الصلوةَ امامُها
ولو نطقتْ والموت يجرى ظلامُه ... لَتجلّى ظلامَ الموتِ عنّى ابتسامُها

ومثله قول جميل بن معمر

حلفتُ يمينًا يا بُثَينةُ صادقًا ... فإن كنتُ فيها كاذبًا لَعميتُ
حلفتُ لها بالبُدْن تَدْمَى نُحورُها ... لقد شَقِيَت نفسى بكُم وعَنِيتُ
فلو انّ جِلْدًا غير جلدِك مسّنى ... وباشرنى دون الشعار شَرِيتُ
ولو انّ داعٍ منك يدعو جنازتى ... وكنتُ على أيدى الرجال حَبِيتُ

ومثله قول الاعشى

عَهْدى بها فى الحىّ قد سُرِبَلَتْ ... صفراءَ مثل المُهْرة الضامِرِ
لو اسندتْ مَيتًا الى نَحْرِها ... عاشَ ولم يُنقَل الى قابِرِ
حتّى يقول الناسُ ممّا رأَوْا ... يا عَجَبًا للمَيّتِ الناشِرِ

قد حَجَمَ النَّدْىُ على نحرها فى مُشرِفٍ ذى بَهجةٍ زاهِرِ

ومثله قول المجنون ايضا

ولو كنتُ اعمى أخبطُ الارض بالعصا أصمَّ فنادتنى أجبتُ المُنادِيَا

واشهد عند الله أنى أُحِبُّها فهذا لها عندى فما عندها لِيَا

قال وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر فقال

الا ليتنى اعمى اصمُّ تَقودُنى بُثَينةُ لا يَخفَى علىّ كلامُها

فهؤلاء قد زعموا انّ كلام النساء يجلو العَمَى ويُسمِع الصَّمّ ويُحيى الميّت ويدفع المَوات ويَنشر القبور من قبل اوان النشور، وقد قال بعض الاعراب إنّ مِن كلام النساء ما يقوم مقامَ الماء فيروى من الظماء، وقال آخر حلاوة نغم النساء فى الآذان ألذّ مِن مَوْقع الماء العذب من العطشان، وقال القُطامىّ فى مثل ذلك

وفى الجدور غَمامَاتٌ برقْنَ لنا حتّى تصيّدْنَنا من كلّ مُصطاد

قتلنَنا بحديثٍ ليس يعلمُهُ مَن يتّقينَ ولا مكروهُهُ بَادِى

وهنّ ينبذنَ من قولٍ يُصِبْنَ به مَواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصادى

وعمر بن ابى ربيعة يقول فى سُكَيْنة ابنة الحسين بن علىّ رضى الله عنهما

اسْكَيْنَ ما ماءُ الفُرات وبَرْدُهُ منّى على ظَمَأٍ وحُبّ شَرابِ

بأحبّ منكِ وإن نأيتِ وقلّ ما تَرعى النساءُ امانةَ الغُيّابِ

ولبعض المتأدّبين فى مثله،

واللهِ ما شَرْبةٌ من ماءِ غاديةٍ اذا ظَمِئتُ وكَرْبُ الموت يَغْشَانِى

ألذُّ من شربة من فيكِ أسمعُها تلك الشفاءُ لقلب الهائم العانى

ورُوى انّ عمر بن ابى ربيعة قال أتتنى امرأتان فى ايّام غزلى فجعلتْ احداهما تُسِرّ الىّ سرًّا والاخرى تعضّنى فما شعرتُ بعضّة هذه من لذّة سرار هذه، ودخل كُثيّر على عبد الملك بن مروان فقال يا كُثيّر حدّثنى ببعض اخبارِ جميل فقال نعم يا امير المؤمنين لقيتُ جميلا

ذات يوم فقال هل لك فى المسير معى نحو بُثينة قلتُ نعم فسايرتُه حتّى دنا من موضعها فقال تصير اليها فتُعلمها بمكانى فصِرتُ فأعلمتُها فاقبلتْ فى نسوة من الحىّ فلمّا رأينه انصرفن عنها وتنحّيتُ عنهما فلم يزالا من أوّل الليل الى ان رهقهما الصبح قائمَيْن فى اقدامهما فلمّا عزما على الافتراق قالت أدنُ منّى يا جميل فدنا منها فاسرّت اليه سرًّا فخرّ مغشيًّا عليه فما ايقظه الّا حرّ الشمس فافاق وانشأ يقول

فما ماءُ مُزْنٍ من جبالٍ مُنيفةٍ ولا ما اكنّت فى معادنها النَحْلُ
بأشهى من القول الذى قلتِ بعدما تمكّن فى حَيْزُوم نافتىَ الرَحْلُ

وقال جرير ايضا

ولقد رميتَك يومَ رُحْنَ بأعيُنٍ يقتلنَ من خَلَلِ الستور سواجى
وبمنطقٍ شَغَفَ الفؤادَ كانّه عَسَلٌ يجُدنَ به بغير مِزاجِ

٩١ وقال الفرزدق

اذا هُنّ ساقَطْنَ الحديثَ كانّه جَنَى النحلِ او أبكارُ كَرْمٍ تُقَطَّفُ
تراهنّ من فَرط الحياء كانّهنا مراضُ سُلالٍ او هَوًى لك نُزَّفُ

وليس يمكن ان يكون ذلك عندهم كذلك، وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من وجوهٍ شتّى بأحاديث صحّت عن الثقات ونُقلت عن الرُواة انّ حبّك للشىء يُعمى ويُصمّ، وليس بعجب ما قال المجنون واشباهه من غلبة العشق عليهم وقد قال غيره اعظمَ ممّا قاله واقطع واجلّ ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا انّ منهم مَن قتل نفسه غرقًا وذبحًا وخنقا كلُّ ذلك أَسَفًا وحَسرةً وتلهُّفا، فمن ذلك ما حُكى عن شيخ حضر مجلس العُتبىّ فاخبرهم انّه حضر مجلسا فيه قينة وفتى وكان الفتى يهوى القينة وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ وابنة الشيخ تهوى الفتى فغنّت القينة

علامةُ ذُلّ الهوى على العاشقين البُكا
ولا سيّما عاشقٌ اذا لم يجِد مُشتكَى

فقال لها الفتى احسنتِ والله يا ستّى ائذنين لى ان اموت قالت مُتْ راشدا فوضع راسه على الوسادة وغمّض عينيه فحرّكناه فوجدناه ميّتًا قال الشيخ فخرجنا متعجّبين من ذلك وصرتُ الى منزلى فاعلمتُهم ما كان من قصّة الفتى ونظرتُ الى ابنتى وقد حاضرت فدخلتْ مجلسا لى فدخلتُ وراءها فاذا هى متوسّدة على مثال ما كان عليه الفتى فحرّكتُها فاذا هى ميّتة فغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الفتى فاذا بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة وبلغها موت ابنتى فصنعت مثل ذلك فاتت فدفنّا ثلاثة بموت واحد فى موضع واحد وهذا من عجيب ما سُمع به فى هذا الامر، ومن ذلك ما اخبرنى ابو العَيْناء

٦٢ قال حدّثنى عمرو بن بَحْر الجاحظ قال ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكّل لتأديب ولده فلمّا نظر الىّ استبشع منظرى وامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى فخرجتُ فلقيتُ محمّد بن ابراهيم وهو يريد الاحدار الى مدينة السلام فعرض علىّ الاحدار معه وقُرّبتْ حرّاقته ودعا بطعامه وشرابه ونصب ستارته وامر بالغناء فاندفعت عوّادة له تتغنّى

كلّ يوم قطيعةٌ وعتابُ ينقضى دهرنا ونحن غضابُ
ليت شعرى انا خُصصتُ بهذا دون ذا الخَلق ام كذا الاحبابُ

ثمّ سكتت وامر طُنبُوريّة فغنّت

وا رَحمتى للعاشقينَا ما إن ارى لهُمْ مُعينَا
كم يُهجَرون ويُظلَمو نَ ويُقطَعون فيَصبِرُونَا
وتراهُمُ مِمّا بهِمْ بين البريّة خاشعينَا
يَتجلّدون ويُظهِرو ن تجلُّدًا للشامتينَا

قالت لها العوّادة فيصنعون ما ذا قالت يصنعون هكذا وضربتْ بيدها على الستارة فهتكتْها وبرزت كانّها فلقة قمر فزجّت بنفسها الى الماء قال وعلى رأس محمّد غلام يصاهيها فى الجمال وبيده مُدْية فلمّا رآها وما صنعت القاها من يده واتى الى حيث رمت بنفسها فنظر اليها وهى

تمور بين الماء فانشأ يقول

أنتِ التى غرّقتِنى بعد القضا لو تعلمينا

وزجّ نفسه فى اثرها فادار الملّاح الحرّاقة فاذا بهما معتنقين ثمّ غاصا ولم يُريَا فهال ذلك محمّدا واستفظعه وقال للجاحظ يا عمرو لتحدّثنى بحديث يسكّن عنّى فعل هذَيْن والّا لحقتُك بهما قال الجاحظ فحضرنى خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعُرضت عليه القصص فمرّت به قصّة فيها ان رأى امير المؤمنين اطال الله بقاءه أن يُخرج الىّ فلانة يعنى جارية من جواريه حتّى تغنّينى ثلاثة اصوات فَعَلَ ٦٣ فاغتاظ من ذلك سليمان وامر من يخرج اليه فيأتيه برأسه ثمّ اتبع الرسول برسول اخر فامر ان يُدخَل الرجل اليه فأُدخل فلمّا مثل الرجل بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعتَ قال الثقة بحلمك والاتّكال على عفوك فامره بالقعود حتّى لم يبق احد من بنى اميّة ثمّ امر فاخرجت الجارية ومعها عودها ثمّ قال له اختر قال له قُل لها تغنّيْ بقول قيس بن المُلوّح

تعلّقَ روحى روحَها قبل خَلقِها ومن بعد ما كُنّا نطافًا وفى المَهْدِ
فعاش كما عِشنا فاصبح نامِيًا وليس وان مُتنا بمُنقضِب العَهْدِ
ولكنّه باقٍ على كلّ حالةٍ وسائرُنا فى ظُلمة القبر واللَّحْدِ
يكاد قميصُ الماء يخدش جِلدَها اذا اغتسلت بالماء من رِقّة الجِلْدِ
وانّى لمُشتاقٌ الى ريح جَيْبِها كما اشتاق ادريسٌ الى جنّة الخُلْدِ

فغنّته فقال سليمان قُل قال تأمر لى برطل فامر له برطل فشربه ثمّ قال تغنّيْ بقول جميل

عَلقتُ الهوى منها ولِيدًا فلم تَزَلْ الى اليوم يَنمِى حُبُّها ويَزِيدُ
وأفنيتُ عُمرى بانتظارى نوالَها وأبلتْ بذاك الدهرَ وهو جَدِيدُ
فلا انا مردودٌ بما جئتُ طالبًا ولا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبِيدُ
اذا قلتُ ما بى يا بُثَيْنةُ قاتلى مِنَ الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ

ثمّ قال تغنّى بقول قيس بن ذريح

لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وُدُّها ولكنّها الدنيا متاعُ غُرُورِ
وكُنّا جميعًا قبل ان يَظهر النوَى بأحسن حالَىْ غِبْطَة وسُرُورِ
فما برح الواشون حتّى بدت لنا بطونُ الهوى مقلوبةً لِظُهورِ

فتغنّت فقال له قُلْ قال تأمر لى ببطل فما استتمّه حتّى وثب الى أعلى قبة سليمان ثم زجّ بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انّا لله وانّا اليه راجعون انُراه الجاهل ظنّ انّنى أُخرِجُ اليه جاريتى فأردّها الى ملكى خذوا بيدها فانطلقوا بها الى اهله ان كان له اهل والّا فبيعوها وتصدّقوا بها عنه فلمّا انطلقوا بها نظرت الى حفرة فى دار سليمان قد أُعدّت
٦٢ للمطر فجذبت نفسها وانشأت تقول

مَن مات عِشقًا فليَمُتْ هكذا لا خيرَ فى العشق بلا مَوْتِ

وزجّت بنفسها فى الحفرة على دماغها فماتت فسُرِّىَ عن محمّد واحسن صلة الجاحظ ☆

باب من مات من شدّة الفقد
وتضعضعت اعضاؤه من شدّة الوجد

حُكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدىّ عن هشام بن حسّان قال حدّثنا رجل من بنى تميم قال خرجتُ فى طلب ناقة لى فوردتُ على ماءٍ من مياه طيّء فاذا بعسكريْن احدهما قريب من الاخر واذا فى احد العسكرين شابّ مُدنَف قد نهكته العلّة فهو كالشنّ البالى فدنوتُ لأعرف خبره فسمعتُه وهو يقول

الا ما لِلمَليحة لا تَعودُ أسخطٌ بالمليحة ام صدودُ
مرضتُ فعادنى اهلى جميعًا فما لكِ لا تُرَى فيمَن يعودُ
فَقَدْتُكِ بينهم فتلفتُ شوقًا وفقدُ الالف يا سُكْنَى شديدُ
فلو كنتِ المريضَ لجئتُ أسْعَى اليكِ ولم يُنَهنِهْنى القعودُ

قال فسمعتُه كلامه فبادرت نحوه وبدرتها النساء فتعكّفن بها فاحسّ بها فوثب مبادرا نحوها فحبسه الرجال فجعلت تجذب نفسها من النساء ويجذب نفسه من الرجال حتّى التقيا فاعتنقا وبكيا ثمّ شهقا فخرّا ميّتين فخرج شيخ من بعض الاخبية فوقف عليهما فاسترجع ثمّ قال رحمكما الله اما والله لقد كنتُ لم اجمع بينكما فى حياتكما لأجمعنّ بينكما بعد موتكما فامر بهما فكُفّنا فى كفن واحد ودُفنا فى قبر واحد فسألتُ عنهما فقال هذه بنتى وهذا ابن اخى بلغ بهما الحبّ ما ترى، ومن ذلك ايضا ما حُكى عن اسحاق الرافقىّ قال كنتُ فى مجلس بالرّقّة فى عدّة من الظرفاء وجماعة من القيان ومعنا فتى كأَهْيَبَ مَن رايتُ من الفتيان وعليه اثرُ ذِلّة الهوى يُديم الانين والبكاء فتغنّت احداهنّ

انّى لأُبغض كلّ مُصطَبِرٍ عن أُلْفه فى الوصل والهَجْرِ
الصبرُ يَحسُنُ فى مَواطنه ما للفتى المحزونِ والصَبْرِ

فنظر اليها الفتى وتبادرت عبراتُه ثمّ وثب على قدميه ووضع يده على رأسه وقال

غدا يُكثر الباكون منّا ومنكمُ وتزداد دارى من دياركمُ بُعْدَا

ثمّ رمى بنفسه فسقط مجدّلا من قامته فوثبنا اليه فحملناه ميّتا، ومن ذلك ما حُكى عن جميل بن معمر العُذرىّ انّه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا جميل حدّثنى ببعض احاديث عُذرة فانّه يبلغنى انّهم اصحاب ادب وغزل قال نعم يا امير المؤمنين انّ آل بُثَينة انتجعوا الحىّ وقطعوا بلدا اخر فخرجتُ ابتدهم فغلطتُ الطريق وجنّنى الليل ولاحتْ لى نار فقصدتُها حتّى دنتْ ووردتُ على راعٍ فى اصل جبل قد لجأ غنمه الى كهف فى الجبل فسلّمتُ فردّ علىّ السلام وقال احسبُك قد ضللتَ الطريق قلت قد كان ذاك فأرشدنيه قال بل أنزل حتّى تُريح ظهرك وتبيت ليلتك فاذا اصبحتَ وقفتُك

على الطريق فنزلتُ فترحّب بى واكرمنى وعمد الى شاة فذبحها واجّج نارا وجعل يشوى ويُلقى بين يدىّ ويحدّثنى فى خلال ذلك ثمّ قام بإزار كان معه فقطع به جانب الخباء ومهّد لى جانبا وترك جانبا خاليًا فلمّا كان فى الليل سمعته يبكى ويشكو الى شخص كان معه فأرقتُ له ليلتى فلمّا اصبحتُ طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمتُ عنده وسألته عن اسمه ونسبته وحاله فانتسب لى فاذا هو من بنى عُذرة واشرافهم فقلت يا هذا وما الذى احلّك هذا الموضع فاخبرنى انّه يهوى ابنة عمّ له وتهواه وانّه خطبها الى ابيها فأبى أن يزوّجها منه لقلّة ذات يده وانّه زوّجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحىّ فاسكنها فى موضعه ذلك وانّه تنكّر ورضى ان يكون راعيًا له لتأتيه ابنة عمّه فتراه ويراها وجعل يشكو الىّ صبابته بها وشدّة عشقه لها حتّى اذا جنّنا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقّع لها فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق فوثب قائما وانشأ يقول

٦٦

ما بالُ مَيّةَ لا تأتى لِعادتِها ... أهاجَها طَرَبٌ ام صدّها شُغُلُ
لكنّ قلبِىَ لا يُلهيه غيرُهُمُ ... حتّى المماتِ ولا لى غيرهمْ أَمَلُ
لو تعلمين الذى بى من فِراقكُمُ ... لَمَا اعتذرْتِ ولا طالت لكِ العِلَلُ
روحى فداؤكِ قد هيّجتِ لى سَقَمًا ... تكاد مِن حَرّه الاعضاءُ تنفَصِلُ
لو أنّ غادِيةً منه على جَبَلٍ ... لَزال وانهدّ عن اركانه الجَبَلُ

ثمّ قال يا اخا بنى عُذرة مكانَك حتّى اعود اليك فانّى اتوهّم انّ امرا عرض لابنة عمّى ثمّ مضى فغاب عن بصرى فلم يلبث أن اقبل وعلى يديه شىء محمول وقد علا شهيقُه ونحيبه فقال يا اخا بنى عُذرة هذه بنت عمّى ارادت ان تأتينى فاعترضها السَبُع فاكلها ثمّ وضعها عن يده وقال على رِسْلك حتّى اعود اليك ومضى فابطأ حتّى ايستُ من رجوعه ثمّ اقبل ورأس الاسد على يده فوضعه وجعل ينكت على اسنانه وهو يقول

الا ايّها اللّيث المُحلّ بنفسه قُبلتَ لقد جرّت يداك لنا حُزْنا
وغادرْتَنى فَرْدًا وقد كنتُ آنسًا وصيّرتَ بطن الارض ثمّ لنا سِجْنا

ثمّ قال يا اخا بنى عُذرة انّك سترانى بين يديك مَيّتًا فاذا انا متُّ فاعمد الىّ والى بنت عمّى فادْرُجْنا فى كفن واحد واحفرْ لنا جدثا واحدا وادفنّا فيه واكتبْ على قبرى هذين البيتين

كُنّا على ظَهْرِها والعَيْشُ فى مَهَلٍ والعيشُ يجمعُنا والدارُ والوَطَنُ
ففرّق الدهرُ بالتشتيت أُلْفتَنا فاليومَ يجمعنا فى بطنها الكَفَنُ

ورُدّ الغنمَ على صاحبها واعلمْه بقصّتنا ثمّ عمد الى خِناق فطرحه فى ٩٧
عنقه فناشدتْه الله ألّا يفعل فأبى وجعل يخنق نفسه حتّى سقط بين يدىّ ميّتًا فلمّا اصبحتُ كفّنتُه وابنة عمّه كما امرنى ودفنتُهما فى قبر واحد وكتبتُ البيتين على قبرها وردتُ الغنم على زوجها واعلمتُه بقصّته فجعل يأكل كفّيه اسفًا أن لا يكون جمع بينهما فى حياتهما فهذا وما اشبهه كثيرٌ جدًّا، وروى عن محمّد بن جعفر ابن الزُبير قال كنّا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بنى عُذرة فقال له عروة يا عُذرىّ بلغنى انّ فيكم رِقّةً وغزلا فأخبرْنى ببعض ذلك قال لقد خلّفتُ فى الحىّ ثمانين مريضا دَنفا عشْقا ما بهم غير الحبّ قد خامر قلوبهم ☆

باب من وصف الحب ١٦

وما فيه من شدّة المرارة والكرب

واعلم انّ للحبّ معا فيه من المرارة والنكد وطول الحسرات والكمد مستعذَبٌ عند اربابه مستحسَنٌ عند اصحابه حُلوٌ لا تَعدله حلاوة ولا تَعدله مرارة، قال الكُمَيْت بن زيد

الحبُّ فيه حلاوة ومرارةٌ سائلْ بذلك من تطاعَمَ او ذُقِ
ما ذاق بُؤسَ معيشةٍ ونعيمَها فيما مَضَى احدٌ اذا لم يَعشَقِ

وقال اخر

يا ايّها الدَنِفُ المعذّبُ بالهوى ... انّى بأحوالِ الهوى لَعَليمُ
الحبُّ صاحبُه يَبيتُ مسهّدًا ... ويَطيرُ عنه فؤادُه ويَهيمُ
الحبُّ داءٌ قد تضمّن فى الحشا ... بين الجوانح والضلوع مُقيمُ
الحبُّ لا يَخْفَى وان أخفيتَهُ ... انّ البكاءَ على المُحبّ نَمومُ
الحبّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ ... والحبُّ فيه شقاوةٌ ونَعيمُ
الحبّ أهْوَنُ ما يكون مبرِّحٌ ... والحبُّ أصغرُ ما يكون عظيمُ

انشدنى احمد بن يحيى ثعلب

سَلْنى عنِ الحبّ يا مَن ليس يعرفُهُ ... ما أطْيَبَ الحبَّ لولا انّه نَكَدُ
طَعْمانِ حُلْوٌ ومُرٌّ ليس يَعدِلُهُ ... فى حَلْقِ ذائقِهِ مُرٌّ ولا شُهْدُ

وانشدنى ابراهيم بن محمّد الواسطىّ لنفسه

سَلْنى عن الحبّ فانّى به ... أعلمُ ذى وَطْءٍ على نَعْلِ
طعمانِ ضدّانِ فمُستعذَبٌ ... وآخرٌ أشْرَى مِنَ القَتْلِ

ولبعض المتأدّبين ايضا فى مثله

سَلْنى عن الحبّ يا مَن ليس يعلمُهُ ... عندى مِنَ الحبّ ان سايَلْتُمُ الخَبَرُ
أنا الذى بالهوى ما زِلتُ مشتهِرًا ... لاقيتُ فيه الذى لم يَلقَهُ بَشَرُ
الحبُّ اوّلُه عذبٌ مذاقتُهُ ... لكنّ آخرَه التنغيصُ والكَدَرُ
كمْ تَيَّمَ الحبُّ اقوامًا وذلّلهُمْ ... وكم يَدٍ للهوى قد وارتِ الحُفَرُ

انشدنى ابن ابى الرَعْد

مَن كان لم يَدرِ ما حبٌّ وصَفْتُ له ... ان كان فى غَفْلةٍ او كان لم يَجِدِ
الحبُّ اوّلُه عذبٌ وآخرُهُ ... مثلُ الحَزازةِ بين القلبِ والكَبِدِ

انشدنى الوليد بن عُبيد البُحتُرىّ لابى العتاهية

أخِلّاىَ فى شَجْوٍ وليس بكُم شَجْوُ ... وكلُّ امرىءٍ ممّا بصاحبه خَلْوُ
أذابَ الهوى جسمى ولحمى وقُوّتى ... فلم يَبقَ الّا الروحُ والجَسَدُ النضْوُ
رأيتُ الهوى جَمْرَ الغضا غيرَ انّه ... على كلِّ حالٍ عند صاحبه حُلْوُ

وما من مُحِبٍّ نالَ مِمَّن يحبُّهُ هَوًى صادقًا الّا سيَدْخُلُه زَهْوُ

قال وانشدنى ابن ابى الدُنيا

لِلحُبِّ يَترِكُ مَن احبَّ مُدلَّهًا حَيْرانَ او يَقضى عليه فيُسرِعُ
لِلحُبِّ اهوِنُه ثقيلٌ فادِحٌ يُهوِى الجليدَ من الرجال فيَصرَعُ ۞

باب ما فى معرفة الهوى ١٧

وما كان اسمه فى البادية اوّلا

وأعلم انّ الهوى عندهم هو الهَوان الصُراح والبلاء المُتاح لانّه يُهين الكريم ويُذِلّ العزيز ويُدَلّهُ العاقل ويحطّ منزلةَ الشريف، وسُئلتْ اعرابيّة عن الهوى فقالت الهوى هو الهَوان وانّما غُلِط باسمه واشتُقّ من طبعه ولن يعرف ما اقول الّا مَن ابكتْه المنازل والطلول وانشأت تقول

ليت الهوى لذوى الهوى لم يُخلَقِ بل ليت قلبى بالهوى لم يَعلَقِ
انّ الذى عَلِقَ الهوى بفؤاده كمسوَّطٍ دون النساء مُعلَّقِ
لا يستطيعُ نزولَه لِشقائِه لكنّ اليه كلَّ همٍّ يَرتَقِى
انّ الهَوَى لَهُوَ الهوانُ بعَيْنِه ما ذاق طَعْمَ الذُلِّ مَن لم يَعشَقِ

وأُنشدتُ لغيرها ايضا

انّ الهوانَ هُوَ الهوى نُقِصَ اسمُهُ فاذا هَوِيتَ لقد لَقِيتَ هوانَا
واذا هويتَ لقد تَعبَّدك الهوى فاخضَعْ لِحُبّك كائنًا من كانَا

انشدنا ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه

لم يَدرِ ما بؤسُ الحياة ولِينُها الّا الذين مِنَ الهوى بِمَكانِ
كم من عزيزٍ قد ألمّ به الهوى فأقرّ بعد كرامةٍ بهوانِ
ليس الهوى الّا الهوانُ ودُونُه نُقِصَتْ كفِعْلِ الزُّور والبُهْتانِ
لِينُ الحياة اذا نظرتَ وبؤسُها بين الوصال وغُصّة الهِجْرانِ
ما العشق عندى باختيارٍ انّما ذاك البلاء يُتاحُ للانسانِ

قال وانشدنى ابو العَيْناء

وما كَيْسٌ فى الناس يَحْمَدُ رأيَهُ فيُوجَد الّا وهْو فى الحبّ أحْمَقُ
وما من فتًى ما ذاق بؤسَ معيشةٍ من الدهر الّا ذاقها حين يعشَقُ ۞

١٨ باب ما سئل عنه اهل الصدق
من تمام خلّات العشق

قال الاصمعىّ لأبى وائل الاضاخى ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن عُصارةً من الشجر فهو ضربٌ من الجنون وانشأ يقول

بقلبىَ شىءٌ لستُ أعرف وَصْفَهُ على انّه ما كان فهْوَ شديدُ
تَمُرّ به الايّامُ تسحَبُ ذَيْلَها فتَبْلَى به الايّامُ وهْوَ جَديدُ

لعمرى انّ بذلك ما وجب لهم الدعاء فصار مفترضًا على الادباء كالفرض اللازب والحقّ الواجب الجليل الخَطب وفادح الامر، اخبرنى احمد بن ٧٠ عُبيد قال اخبرنى الاصمعىّ قال رأيتُ ابا السائب المخزومىّ متعلّقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهمّ ارحَم العاشقين وأعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة يا ارحم الراحمين فقلتُ يا ابا السائب انى هذا المقام تقول هذا المقال فقال البيك عنّى الدعاء لهم افضل من حَجّة بعُمرة ثمّ انشأ يقول

يا هَجْرُ كُفَّ عن الهوى ودَعِ الهوى للعاشقين يَطيب يا هَجْرُ
ما ذا تريد من الذين جُفونُهُمْ قَرْحَى وحَشْوُ صدورهمْ جَمْرُ
وسوابقُ العَبَرات فوق خدودهمْ هَطْلًا تلوح كانّها القَطْرُ
صَرْعَى على جِسْر الهوى لِشقائهمْ بنُفوسهم يتلاعبُ الدَهْرُ

قال وخُبّرتُ عن الاصمعىّ ايضا انّه قال رأيتُ جارية وهى تقول اللهمّ مالِكَ يوم القضاء وخالقَ الارض والسماء ارحم اهل الهوى وأستنقذهم من عظيم البلاء وأعطف عليهم قلوبَ اودّائهم بالصفاء فانّك سميعُ النجوى قريبٌ لمن دعا ثم انشأت تقول

يا رَبِّ انّك ذُو مَنٍّ ومَغفرةٍ بَيِّنْ بعافيةٍ منك المُحِبّينا

الذاكرين الهوى من بعد ما سَهِرُوا حتّى يَظَلّوا على الأيدى مُكبّينا

فقلت يا هذه اتغنّين وانت فى الطواف فقالت اليك عنّى لا يُرهقك المحبّ فقلتُ لها وما المحبّ وانا به اعرفُ منها فقالت جَلّ ان يخفى ودَقّ عن ان يُرَى له كمون كمون النار فى الحجر إن قدحتَه اورك وان تركتَه توارى قال فتبعتُها حتّى عرفتُ منزلها فلمّا كان من الغد جاء مطر شديد فمررتُ ببابها وهى قاعدة مع اتراب لها زُهْرٍ يقلن لها لقد اضرّ بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا اضرّ بنا السحابُ بقطْره لمّا رأوْه نعَبْرتى يَحْكى

لا تعجبوا ممّا ترون فانّما هذا السحابُ لِرَحْمتى يَبْكى

وزعم قوم انّه لا ذنب على اهل الهوى ولا وِزر وانّ خطاياهم تُمحّص عنهم بطول بلائهم وكثرة زفراتهم وما لقوا من الشقاء بأودّائهم، واخبرنى احمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب عن رجل ذكره قال كنتُ عند مالك بن انس فأتاه شابّ فقال انّى قد قلتُ ابياتا ذكرتُك فيها فأسمعها قال لا حاجة لى فيها فقال لى أُحبّ ان تفعل قال هات فقال

سَلُوا مالكَ المُفتى عن اللهو والصِبَى وحُبِّ الحسان المُغْنِجات الغوارِكِ

يخبّرُكم أنّى مُصيبٌ وانّما أُسلّى هُمومَ النفس عنّى بذالك

فهل فى مُحِبٍّ يكتم الحبَّ والهوى اثامٌ وهل فى ضَمّة المتهالك

فسُرّىَ عن مالك وقال لا ان شاء الله وكان ظنّ انّه هجاه، اخبرنى احمد بن يحيى ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن شيخ من عاملة قال مرّ ابن مَرّجانة الشاعر بسعيد بن المسيّب فقال هذا ابن مرجانة قالوا نعم قال هذا الذى يقول

سألتُ سعيد بن المسيّب مُفْتِىَ المدينة هل فى حُبّ دهماء من وِزْرِ

فقال سعيد بن المسيّب انّما تُلام على ما تستطيع من الأمْرِ

والله ما سألنى انسان عن شىء من هذا ولو سألنى لأجبتُ، قال وسئل شَريك بن عبد الله القاضى عن العُشّاق فقال اشدّهم

حبّا اعظمهم اجرا، وانشدنى محمّد بن يحيى لمُسْلِم

فوالله ما ادرى وانّى لسائلٌ بمكّةَ أَهْلَ العلم هل فى الهوى وِزْرُ
وهل فى اكتحال العَيْن بالعين رِيبةٌ اذا ما التقى الأَلْفانِ لا بلْ به أَجْرُ

وانشدنى ابراهيم الازدىّ لنفسه

ما العشقُ فى الأحرار مستنكَرٌ وما على العاشق من وِزْرِ

قال وانشدنى الجمّاش

اذا قبّل الانسانُ انسانَ يشتهى تثنّاه لم يأثمْ وكان له أَجْرَا
فإن زاد زاد اللهُ فى حسناته مثاقيلَ يمحو اللهُ عنه بها وِزْرَا

وقال سائب راوية كُثيّر حضرتُ مع كثيّر عند ابن ابى عتيق فانشدنا ابيات ابن قيس الرُقيّات التى يقول فيها

خبّرونى هل على رَجُلٍ عاشقٍ فى قُبْلةٍ حَرَجُ ٧٣

فقال كثيّر لا ان شاء الله ونهض، وانشدنى علىّ بن العبّاس بن رومىّ

ايّها العاشقُ المعذَّبُ اصْبِرْ فخطيّاتُ ذى الهوى مغفورهْ
زَفْرةٌ فى الهوى أحطُّ لذَنْبٍ من غزاةٍ وحَجّةٍ مبرورهْ

وقال المؤمّل واحسن والله فى قوله

صفْ للأحبّة ما لقيتُ من سَهَرٍ إنّ الاحبّة لا يدرون ما السَهَرْ
حَسْب المحبّين فى الدنيا عذابهمُ واللهِ لا عذّبتهمْ بعدها سَقَرْ

وقال الاصمعىّ رأيتُ جارية بالطواف وهى تقول

لن يَقبل اللهُ من معشوقةٍ عَمَلًا يومًا وعاشقُها حَيْرانُ مهجورُ
وليس يأجُرها فى قتل عاشقها لكنّ عاشقَها لا شكّ مأجورُ

فقلت يا جارية انى هذا المقام اما حياءٌ فيَرْدعك فانشأت تقول

بيضٌ أوانسُ ما همنَ بريبةٍ كظباء مكّةَ صَيْدُهنّ حَرامُ
يُحْسَبن من لِينِ الكلام زوانيًا ويَصُدّهنّ عن التخنّى الاسلامُ

وقد قيل ايضا انّ قتيل الهوى لا قَوَدَ له وانّ دماء اهل الهوى تَبطل وتُهدَر، ومن ذلك ما حُكى عن ابن عبّاس انّه أُتى بشابّ محمول قد

صار كالشنّ البالى فقيل له أستشف الله لهذا المريض يابن عمّ رسول الله فقال له ابن عبّاس ما علّتك يا فتى فلم يُحِرْ اليه جوابًا ثمّ رفع رأسه وقال بلسان فصيح طليق

به لوعةٌ لو تَشتكى الصُمُّ مثلَها تفطّرتِ الصمُّ الصلابُ وخَرّتِ
ولو قَسَمَ اللهُ الذى بى من الهوى على كلّ نفسٍ حَظَّها ما أَبَلّتِ

ثمّ خفت خفتةً ثمّ فتح عينيه وهو يقول

بنا من جوى الحبّ المبرّح لوعةٌ تكاد لها نفسُ الشفيق تَذوبُ
ولٰكنّما أَبْقَى حُشاشةَ ما ترى على ما به عُودٌ هناك صَليبُ

فقال ابن عبّاس ممّن الرجل فقال من بنى عُذرة ثمّ شهق شهقة فمات فقال ابن عبّاس لجلسائه هل رأيتم وجها اليَق ولسانا اذلق من هذا هذا والله قتيل الهوى لا قَوَدَ له ولا دِيةَ والى الله ارغب فى ٧٣
العافية ممّا نرى، وانشد احمد بن يحيى ثعلب

اذا هنّ ساقطنَ الحديثَ لذى الهوى سُقُوطَ حصى المَرْجانِ من كَفّ ناظِمِ
رمَيْنَ فأصمين القلوبَ فما ترى دَمًا سائلًا الّا جَوًى فى الحَيازِمِ
فأىّ دَمٍ لو تعلمينَ جَنَيْتِه على الحُرّ جانى مثله غيرُ سالِمِ
أما أنّه لو كان غيرُك أَرقَلَتْ اليه القنا بالمُرهَفاتِ الصوارِمِ
ولٰكنْ وبيتِ الله ما طلّ مُسلمًا كغُرِّ الثنايا واضِحاتِ المَعاصِمِ

وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه

قَضَى اللهُ فى القَتْلَى قِصاصَ دمائهمْ ولٰكنْ دماءُ العاشقينَ جُبارُ
تُطَلُّ دماءُ العاشقين وثأرُها لدى الحَدَقِ المَرضَى وذلك ثارُ

قال الاحوص بن محمّد الانصارىّ

ما تُذكِرُ الدهرَ لى سُعْدَى وإن بَعُدَتْ الّا تَرقْرَقَ ماءُ العَيْنِ فاطّرَدَا
يا لَلرّجالِ لمقتولٍ بلا تِرَةٍ لا يأخذون له عقلًا ولا قَوَدَا

وحدّثنى العَنَزىّ ابو علىّ عن الزبير بن بكّار عن محمّد بن عبد الله ابن مسلم بن جُندُب عن ابيه قال خرجتُ مع ابى سفيان فلقينا

نسوةً ينظرن العقيق فيهنّ امرأة حسناء العين فقال الى

الا يا عبادَ الله هذا اخوكمُ قتيلًا فهل فيكم به اليومَ ثائرُ
خُذوا بدمي ان مُتُّ كلَّ خريدة مريضة طَرْفِ العين والجفنُ ساحرُ

قال فالتفتت اليّ امرأة فقالت يا بُنيّ احتسبْ اباك واغتنمْ نُهْبيك فانّ قتيلَنا لا يُودَى واسيرنا لا يُفدَى، وانشدني احمد بن يحيى لجرير ابن الخَطَفى

هل فى الغوانى لِمَنْ قتلنَ من قَوَدِ او من دياتٍ لقَتْلَى الأعيُن الحُورِ
تبينت ليلَك فى وَجدٍ مُخامِرُهُ كأنّ فى القلب اطرافَ المَسامير
ما كنتُ اوّلَ محزونٍ أضرّ به بَرْحُ الهوى وعذابٌ غيرُ تَفْتير

وقال ايضا

٧٣ اذا كحَلْنَ عيونًا غيرَ مُقْرِفة ريّشْنَ نَبْلًا لأصحاب الصِبَى صُيُدَا
ما بالُ قَتْلاك لا تخشَيْن طائلَهمْ لم تَضْمَنى دِيةً منهم ولا قَوَدَا

وقال عمر بن لَجأ

تَرَاتْ كى تَكيدَك أمُّ عمرٍو وكَيْدُك بالتبرُّج ما تَكيدُ
وكيف قتلتنى يا أمَّ عمرٍو ولا قَوَدٌ عليك ولا حُدودُ

وقال اعرابىّ وما اساءَ

أقاتلَتى يا للرجال حبيبةً الىّ بلا جُرْمٍ لديها ولا ذَحْلِ
فقيمَ دماءُ العاشقين مُضاعةٌ بلا قَوَدٍ عند الحسان ولا عَقْلِ

واحسن والله المؤمّل حيث يقول

انّى قُتلتُ بلا جُرمٍ وقاتلَتى يا قومِ جاريةٌ فى طرفها حَوَرُ
لمّا رَمَتْ مُهْجَتى قالت لجارتها انّى قَتلتُ قتيلًا ما له خَطَرُ
قَتَلتُ شاعرَ هذا الحىّ من مُضَرٍ فاللهُ يَعلم ما تَرضَى بذا مُضَرُ
شكوتُ ما بى الى هِنْدٍ فما أكتَرَثَتْ يا قلبَها أحديدٌ انت ام حَجَرُ
ان كنتِ جاهلةً بالحُبّ فانطلقى الى القبور ففيمَنْ حلّها عِبَرُ

وقد قيل ايضا انّ قتيل الهوى شهيدٌ على ذلك اجمع فاللهُ يَعلم

للادباء واهل العلم والظرف لموجود الاخبار ومُسنَد الآثار، حدّثنا قاسم الزُبَيْدىّ باسناد ذكره عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَن تعشّق فعفّ فهو شهيد، وقال بشّار بن بُرد العُقيلىّ

قُرْبُ دارِ الحبيب قُرَّةُ عينٍ وكأنّ البعاد فى القلب نُكْلُ
إنّ مَوْتَ الذى يموت مِنَ الحُبِّ عفيفًا له على الناس فَضْلُ

ولبعض المتأدّبين

ليتنى مُتُّ والهوى داءُ قلبى إنّ مَيْتَ الهوى لَمَيْتٌ شهيدُ

ولقد احسن جميل حيث يقول

الا ليت شِعْرى هل أَبِيتَنّ ليلةً بوادى القُرَى انّى اذًا لسَعيدُ
يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ واىّ جِهادٍ غيرَهُنّ أُريدُ
لكلّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شهيدُ ٧٥

ومَلُحَ الحَكَمىّ حيث يقول

ولقد كُنّا رُوِينا عن سعيدٍ عن قتادَهْ
عن سعيدِ بنِ المسيَّبْ أنّ سعدَ بنَ عُبادَهْ
قال مَن مات مُحِبًّا فلَهُ أَجْرُ الشهادَهْ

وأعلم بانّ العشق يَحسن بأهل العفّة والوفاء ويقبح بأهل الغدر والخنى مع انّ الهوى قد فسُد وقلّ الوفاء وكثرت الخيانة والغدر واستعمل الناس فى العشق شيعا ليس من سُنّة الظرف ولا من اخلاق الظرفاء وذلك ان احدهم متى ظفر بحبيبه واصاب الغفلة من رقيبه لم يعفّ دون طلب المعنى فهذا فسادُ الحبّ ودمارُ العشق وبُطلانُ الهوى وتكديرُ الصفاء، انشدنى عبدُ الحَميد الملطىّ

قد فَسَدَ الحبُّ وهان الهوى وصار مَن يَعشق مستعْجِلا
يريد انْ يَنكح احبابَه من قبل ان يَسهر او يَنحَلا

ولاحمد بن ابى فَنَنٍ فى مثل ذلك

انا لا أبدي بغدرٍ ابدًا فاذا ما غدرتْ لم أتركْ
واجدًا منها بديلًا مثلَ ما وَجدتْ منّي بديلًا لا تشكْ
أتُراني أقعدُ الليلَ لها ساهرًا أطلبُ وصلًا قد هَلكْ
وهْي فيما تشتهي لاهيةٌ مِتُّ إنْ دارَ بهذيْنِ فَلَكْ
كان للناس وفاةٌ مرّةً فانقضى واتحلّتِ اليومَ التِكَكْ

وحدّثني ابو العيناء قال حدّثني الجاحظ قال كتب بعض الظرفاء الى مُلْك جارية الى جعفر

يا مُلْكُ قد صرتُ الى خُطّة وكنتُ فيها منك ذا ضَيْم
يلومني الناسُ على حُبّكمْ والناس أولى فيكِ باللَوْم

فكتبت اليه

إن تكُنِ الغُلْمةُ هاجتْ بكمْ فسكّنِ الغُلمةَ بالصَوْم
ليس بك الشوقُ ولكنّما تدورُ من هذا على الكَوْم

٧٩ واعلم انّ العشق لا يكون مع الفسق ومتى مازج العشقَ الفسقُ ضعُفت قُواه وانقصمت عُراه وهم لا يريدون غيرَ الرفث ويسمّونه مَساميرَ الحبّ، وزعموا انّ اسباب الحبّ لا تتّصل الّا به ولا يزال مُنْحَلًّا حتّى يشدّها ذلك وينشدون

العشق داءٌ دَوِيٌّ لا دواءَ له الّا العناقُ وافشاءُ السَرِيراتِ
وليس يلتذّ طيبُ العيش من احد الّا بعَضّك او رشْفِ التنيّاتِ
ووَضْعك الصدرَ فوق الصدر تجمعُهُ ضَمًّا اليك على ظَهْرِ الحَشيّاتِ

وينشدون ايضا فى مثل ذلك

رأيتُ الحبَّ ليس له دواءٌ سوى وَضْعِ البطونِ على البُطُونِ
والصاقِ الثنايا بالثنايا وأخْذٍ بالمناكب والقُرونِ

وقد تاظرتْ بعضهم مرّةً من المِرَر فاحتجّ بخبر ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاحتجّوا بظاهر الخبر ولم يفحصوا عن التأويل وهذا خلاف ما يفعل اهل الظرف والادب وغير هذا جاء عن العرب،

وقد بلغنى عن الاصمعىّ انّه قال قلتُ لاعرابىّ مرّةً ما العشق فيكم قال النظرة بعد النظرة وان كانت القُبلة بعد القُبلة فهو الوصول الى الجنّة فقلت ليس العشق عندنا كذلك قال فما هو عندكم قلت تَفرُق بين رجليها وتحمل نفسك عليها فقال بأبى انت لستَ بعاشق انّما انت طالب ولد ☆

باب ما جاء فيمن تعفّف فى ١٩
محبّته ورعى عقود عهود مودّته

وما وجدنا احدا من العرب يفعل ذلك ولا صمد نحوه وقد كان الواحد منهم يعشق من اوّل دهره الى اخره لا يحاول فسقا ولا يَقرب رفثا ولم يكن لهم مُراد الّا فى النظر ولا حظّ فى غير الاجتماع والمؤانسة والحديث والشعر كما قال الفرزدق

وجدتُ لحبّ لا يشفيه الّا لقاءٌ يقتل العَلَلُ النهالا
أُحِبُّ مِنَ النساء وهنّ شتّى حديثَ النَزْرِ والحَدَقَ الكلالا ٧٧
مَواقِعَ لِلحَرام وكلّ نَحْس وتُبدِل ما يكون لها حَلالا

وكان الواحد منهم اذا تعلّق خُلّةً لم يفارقها حتّى الممات ولم يشغل قلبه بغيرها ولم يهمّ بالسلوّ عنها وقصر طرفه عن من سواها وكذلك هى ايضا كانت له بتلك المنزلة فأيّهما هلك قبل صاحبه قتل الاخر نفسه فى اثره او عاش حافظا لودّه قائما بعهده لا ينسى ذكره ولا يصل غيره فاستحسن الناسُ المَلَل والاستبدال والغدر والانتقال وصار اشدّهم ظرفًا واحسنهم الفا يتعشّق السنين الكثيرة والدهور الطويلة ويتوهّم بفعله انّه عاشق فاذا فقد حبيبه يوما واحدا استبدل به سواه، ويتشدّدون فى ذلك

افْخَرْ بِآخِرِ مَن بَلِيتَ بحبّه لا خيرَ فى حُبّ الحبيب الاوّلِ
أَنشُدُكَ فى انّ النبىّ محمّدًا ساد البريّةَ وهْو آخِرُ مُرسَلِ

وانا ابرأ الى الله ان يكون هذا من شعر ظريف او من فعل حصيف ولكن قد احسن ابو تمّام الطائىّ حيث يقول

البَينُ جرّعنى نَقيعَ الحَنظَلِ والبينُ اثكلنى وان لم أثكَلِ
ما حَسْرتى أن كِدتُ أقضى انّما حَسَراتُ نفسى أنّنى لم أفعَلِ
نَقّلْ فؤادَك حيث شئتَ من الهوى ما الحبّ الّا للحبيب الاوّلِ
كم منزلٍ فى الارض يألفُه الفتى وحنينُه ابدًا لأوّلِ منزلِ

على انّه ليس التنقُّل من حبيبٍ اوّلٍ الى حبيب ثانٍ بحَسَن وانّما الحبّ ما اقام عليه القلب فلم يجد التخلّص منه الى غيره كما قال جرير

أخالدَ قد هَوِيتُك بعد هِنْدٍ فشيّبَنى الخوالدُ والهُنودُ
هَوًى بتهامةٍ وهَوًى بنَجدٍ فتُبْلِينى التهائمُ والنُجودُ

ولا كقوله ايضا

أُحِبّ ثَرَى نجدٍ وبالغَوْر حاجةٌ فغارَ الهوى يا عبدَ قيسٍ وأنجَدا

٧٨ ولا كقول الاخر

انّى سأُبدى الحبَّ فيما أُبدى لى شَجَنانِ شَجَنٌ بنَجْدِ
وشَجَنٌ لى بِبلادِ الهِنْدِ ،

ولا كقولك الاخر

هوًى بالغَور لى وهوًى بنجد فما ادرى أأُنجِدُ ام أُغورُ
بكلّ حاجةٌ وهوًى مُقيمٌ بقلبك قد تضمّنه الضَميرُ
بشَرْقِىّ العِراقِ بباب عمرٍو وبالغَوْرَيْنِ زينبُ والقُدورُ

هذا والله من الفاظ الشعر اسمج جدًّا وقد كذب هؤلاء وادّعوا وجدًا وهل يجتمع وجدانِ فى موضع ولكن قد احسن جميل حيث يقول

وقلتُ لنِسْوانٍ تعرّضن دونَها لَيكنّ انّى غيرَكنّ أُريدُ

وحيث قال ايضا

وكم من بديلٍ قد وجدنا وطُرْفةٍ فنأبى علىّ النفسَ تلك الطرائفُ

فهذا هو الصادق الهوى الخالص الوفاء لا جريرٌ وصاحبه ولا الذى يقول

أَرَى ذا فأهواهُ وأبصرَ غيرَهُ فأتركَ ذا ثمّ استبدّ بذا عشقا

تمانون لى فى كلّ يومٍ أُحبّهمْ وما فى فؤادى واحدٌ منهمُ يبقى

فقبّح الله هذا اللفظ لفظًا ولا أُعطىَ قائلُه حظّا فليس من شعرٍ وامق بل هو من فعل مأذق ولا والله ما التنقّل من شأن الادباء ولا الاستبدال من فعل الظرفاء وانّما الهوى ما حسُن سريرتُه وهيهات أنّ ذوو الوداد الخالص والصفاء الدائم والحبّ اللازم وذوو الحفاظ ورُعاة العهود والمتمسّكون بالوفاء والراغبون فى صحبة الاخاء اليك فقد تنقّضتْ وثائقُ الحبّ وانقصمت عُرَى الهوى وتقطّعت اسباب العشق وتكدّر صافى المودّة ، والناس كما قال الشاعر

قَلّ الثقاتُ فما أدرى بمن أثِقُ لم يَبْقَ فى الناس الّا الزُورُ والمَلَقُ

وانّ الغدر فى النساء طبعٌ والمطل منهنّ غريزة وهو فى النساء اكثر ٧٩
منه فى الرجال ، فقد انشدنى بعض الادباء

وكُنّا جعلنا اللهَ شاهدَ بَيْنِنا وفى الله بينُ المسلمين شهيدُ

فاخسْسْتِ بعهد الله لو تعلمينه وفيكنّ مَن ليست لهنّ عُهودُ

وأعلم أنهنّ لا عهود لهنّ ولا وفاء لحبّهنّ ولا دوام لودّهنّ وانّ اقبح ما رُوى من غدرهنّ ما حدّثنيه ابن ابى خيثمة عن شيوخه انّ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل كانت عند ابن ابى بكر الصدّيق رضى الله عنه فاحبّها حبّا شديدا شغلته عن تجارته فامره ابو بكر فطلّقها ثمّ اطّلع عليه وهو يقول

فلم أَرَ مثلى طلّق اليومَ مثلَها ولا مثلُها فى غير جُرمٍ تُطَلَّقُ

لها خُلُقٌ سهلٌ وحُسنٌ ومَنصبٌ وخَلْقٌ سَوِىٌّ ما يُعاب ومَنطِقُ

أُعاتِبُكِ قلبى كلّ يومٍ وليلةٍ اليكِ بما تُخفى النفوسُ معلّقُ

أُعاتِبُكِ لا أنساكِ ما حجّ راكبٌ وما لاح نجمٌ فى السماء محلّقُ

فرقّ عليه ابو بكر وامره فراجعها فقال لمّا رجعت اليه

أُعاتِبُكِ قد طُلّقتِ من غير بغْضةٍ ورُوجِعتِ للأمر الذى هو كائنُ

كذلك امرُ الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه أُلفةٌ وتباينُ
وما زال قلبي لِلتفرّق بائنٌ فقلبي لِما قد قرّب اللهُ ساكنُ
ليَهْنِكَ أنّي لم أَجِدْ منكَ سخطةً وأنّك قد جُلّيتَ عليك المَحاسنُ
وأنّكِ ممّن زيّن اللهُ امرَها وليس لِما قد زيّن اللهُ شائنُ

فلم تزل عنده حتّى قُتل يوم الطائف رُمي بسهم فمات فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

أَآليتُ لا تنفكّ عيني حزينةً عليكَ ولا ينفكّ جِلدي أَغْبَرَا
فللّه عَيْنَا مَن رأى مثلَه فتًى اشدَّ وأحمى في الهياج واصْبَرَا
اذا شرَعَتْ فيه الاسنّةُ خاضَها الى الموت حتّى يَترك الرمحَ أشقرا

ثمّ خطبها عمر بن الخطّاب فتزوّجها فأولم عليها ودعا اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال فقال له عليّ بن ابي طالب ايذنْ لي لأُدخل رأسي الى عاتكة أُكلّمها قال افعل فادخل رأسه اليها فقال يا عُدَيّة نفسها اهكذا كان قولك

أَآليتُ لا تنفكّ عيني سخينةً عليك ولا ينفكّ جلدي اغبرا

فبكت فقال له عمر ما دعاك الى هذا يا ابا الحسن فغفر الله لك انّهنّ يفعلن هذا قال اردتُ ان أُعلمها انّها لا عهدَ لهنّ فمكثت عنده حتّى قُتل عنها فقتله ابو لؤلؤة فقالت ترثيه

عينِ جُودي بعَبْرةٍ ونحيبِ لا تَمِلّي على الاميرِ النَجيبِ
فَجَعَتْني المَنُونَ بالفارس المُعْـلَمِ يومَ الهياجِ والتأْنيبِ
عصمةُ اللهِ والمُعينُ على الدَهْـرِ غياثُ الملهوفِ والمكروبِ
قُلْ لأهل البأساء والضُرِّ مُوتُوا قد سَقَتْه المَنونُ أُمّ الرُقوبِ

ثمّ تزوّجها الزبير بن العوّام فمكثت عنده حتّى قُتل عنها منصرفا من الجمل بوادي السباع قتله ابن جُرْموز فرثته وفيه تقول

غَدَرَ ابن جُرْموزٍ بفارسِ بُهمةٍ يومَ اللقاء وكان غيرَ مُعَرّدِ
يا عمرو لو نبّهتَه لَوَجدتَهُ لا طائشًا رَعِبَ الجنانِ ولا اليَدِ

ثكلتك أمّك إن قتلت لمسلمًا حلّتْ عليك عقوبةُ المتعمّد

فخطبها علىّ بن ابى طالب فبعثت اليه انّى لأضنّ بك عن القتل وانّما استحيَيْتُ فامتنعتْ وقد تزوّجت باثنين من بعد قولها

آليتُ لا تنفكّ عينى سخينةً عليك ولا ينفكّ جلدى اغبرا

قال وحدّثنى ابو الفضل الرَبَعىّ قال حدثنى ابو ربيعة العامرىّ الكوفىّ قال حدثنى علىّ بن عمرو الانصارىّ قال دخلت المُدلّة البكريّة زوجة المغيرة بن ابى ضِمام البكرىّ وكان يحبّها حبًا شديدا على المغيرة بن ابى عَقيل تخاصم فى بعض امورها فلمّا خرجت المدلّة قال انت الذى يقول فيك المعذّل

قل للمُدلّة طال ذا التعديدُ فدَعِ التعلّلَ والمطال قليلا

ويزيدها حَلْىُ النساء مَلاحةً ويزيد ذلك بعضهنّ خُبولا

قالت نعم قال فلِمَ تزوّجتِ بعده أُفٍّ لكنّ قالت أَتنصِفُ ما كنتُ بديًّا وما كنتُ بنيًّا فضحك منها وامرها بالانصراف، وروى ان امرأة من نساء العرب تزوّجت رجلا من خَثْعَم فوجد كلّ واحد منهما بصاحبه وجدا شديدا وانّهما تحالفا ان لا يتزوّج احدهما بعد صاحبه فمات قبلها فتزوّجت فلامها بعض اهلها وقالوا اين ما كنتِ تَجدين به فانشأت تقول

وقد كان حُبّى ذاك حبًّا مبرّحًا وحبّى لِذا اذ مات ذاك شديدُ

وكان هواىَ عند ذاك صبابةً وحبّى لِذا طُولَ الحياة يَزيدُ

فلمّا مضى عادتْ لهذا مودّتى كذاك الهوى بعد الذهاب يَعودُ

وقال صالح بن حسّان لمّا احتُضِرَ حسن بن الحسن بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه كانت فاطمة بنت حسن بن علىّ جالسة عند رأسه تبكى فقال ما يُبكيك قالت على فراقك ابنَ عمّ قال مَهْ ما صنعت فاياك ان تنكحى عبد الله بن عمرو بن عثمان وقد علم انّ احدًا لا يجترئ على خطبتها غيره قالت ما كنتُ لأفعل وهلك وله منها

عبد الله بن حسن وابراهيم بن حسن فلمّا انقضت عدّتها دعت مولاةً لها يقال لها زِير فقالت ابنى عبد الله بن عمرو فقولى له أعِرْنا بَغْلتك الشهباء برحالتها فانّى قد اردتُ ان اصير الى بعض اموال ولدى بالعالية فأتته فقال يا زِيرُ لَوْ كان لى الى مولاتك سبيل أرحلوا لها البغلة فلمّا جاءت قالت هل لقيتيه قالت نعم قالت فما قال لك قالت قال لو كان الى مولاتك سبيل قالت ويلك وابين المذهب عنه فرجعت زِير فدخلت عليه واعلمته فارسل اليها فخطبها فتزوّجته وولدت له الهيثم ومحمّدا ورُقَيّة وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة، وروى عن سماك بن حَرْب انّه قال كانت العرب تقول لم تُنْعَ امرأة قطّ عن رجل الّا تزوّجته، وقال ابن عبّاس حدثنى شيخ من بنى ضبّة قال كان رجل منّا ظريفا شريفا احتضر فبينا هو يجود ٨٢ بنفسه وبَنِيّ له يسمّى مَعْمَر يدبّ بين يديه فنظر اليه وبكى ثمّ التفت الى امرأته فقال يا هذه

انّى لأخشى أن اموت فتنكحى ويُقذَف فى ايدى المراضع معمر
فتحالفت سُتُرٌ بعده ووليدةٌ وأشغلهم عنه نُحُورٌ ومِحجَرُ

قالت ما كنتُ فاعلةً قال الشيخ فوالله ما انقضت عنها عدّتها حتّى تزوجت بشابٍّ من الحىّ ورأيتُ مَعمَرًا كما وصف، قال وانشدنى بعض الشعراء

إنّ مَن غَرَّه النساءُ بشىءٍ بعد هند لَجاهلٌ مغرورُ
كلُّ أُنْثَى وإن بَدَا لك منها غايةُ الحُبّ حُبُّها خَيْتَعُورُ

وانّ الوفاء فيهنّ عزيز غيرُ موجود ووالله لئن كان كذاك وعُرفن بذاك ففى الرجال مَن هو اكثر منهنّ غدرًا واسرع منهنّ ختراً واسمج منهنّ تنقّلا واقبح منهنّ تبدّلا، خُبّرتُ عن الاصمعىّ قال كان رجل من الاعراب يُظهِر الوجد لامرأته والحبّ لها وكانت تُظهر له مثل ذلك فتعاهدا ألّا يتزوّج منهما الباقى بعد صاحبه فاختزمت المرأة قبله

فخطب الرجل امرأةً من يومه ذلك فقيل له أتخطب بعد يمينك وعهدك فقال

خطبتُ كما لو كنتُ قد مُتُّ قبلها لكانت بلا شكٍّ لأوّل خاطبِ
اذا غاب بَعْلٌ كان بعلٌ مكانَهُ ولا بُدّ من آتٍ وآخرَ ذاهبِ

وخُبّرتُ انّ بعض ولاة العهود كانت له جارية فكان يُظهر الميل اليها والاستهتار بحبّها وكان يقول لها اذا افضت الخلافة اليه ان يفضّلها على نسائه ويقدّمها فى البرّ والكرامة عليهنّ فلمّا بلغ من ذلك امله جفاها واطّرحها وقلاها فكتبت اليه

ابن ذاك الوُدُّ والقَبولُ وابن ما كنتَ لنا تقولُ

فكتب اليها

قد قال فى أشعاره لَبيدُ يا حبّذا الطارفُ والتليدُ

فعلمت انّه لا حاجةَ له فيها فهذا فى القبح يتجاوز غدر النساء ويعلو على كثير من جنايات الاماء وانهنّ والله على ما فيهنّ من الغدر والخيانة والشرّ لربّما عشقن فاشتهرن ووفين فاحسنّ وانّ من حُسن ما ٨٣
بلغ من وفائهنّ ما صنعته ابنة الفَرافصة مع عثمان بن عفّان رضى الله عنه وكان من قصّتها انّ سعيد بن العاص تزوّج هند ابنة الفَرافصة بن الأحْوَص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حِصْن بن ضمضم بن عدىّ بن جناب الكلبيّة فبلغ ذلك عثمان بن عفّان فكتب الى سعيد امّا بعدُ فقد بلغنى انّك تزوّجت امرأةً من كلب فأكتب الىّ بنسبها وجمالها فكتب اليه سعيد امّا بعدُ امّا نسبها فهى ابنة الفَرافصة بن الاحوص وامّا جمالها فبيضاء مديدة والسلام فكتب اليه عثمان إن كانت لها اخت فزوّجنيها فبعث سعيد الى ابيها فخطب اليه احدى بناته على عثمان فقال الفَرافصة لابن له يُدعَى ضَبًّا وكان قد اسلم وابوه نصرانىّ يا بُنىّ زوّج عثمان بن عفّان اختك فزوّجه فلمّا اراد حملها قال لها ابوها اى بُنيّة انّك

ستتقدّمين على نساء قريش وهنّ اقدر على الطيب منك فاحفظى عنّى اثنتين تكتحلى وتطيبى بالماء حتّى تكون ريحك كريح الشباب المطهّرين فلمّا حُملتْ شقّ عليها الغربة واشتاقت الى اهلها فقالت

ألستَ ترى يا صَبُّ بالله انّنى مُصاحبةٌ نحو المدينة أَرْكُبَا
اذا قطعوا خَرْقًا تَخُبُّ رِكابُها كما زعزعت ريحٌ يراعًا مقصّبَا
لقد كان فى ابناء حِصْنِ بن ضَمضَمٍ نك الويلُ ما يُغنى الحَباءُ المطنّبَا

فلمّا قدمت على عثمان بن عفّان قعد على سرير والقى لها سريرا حياله فاجلست عليه ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال يابنة القرافصة لا يهولنّك ما ترين من الصلع فانّ من ورائه ما تحبّين قالت انّى لمن نسوة احبُّ بعولتهنّ البيضّ الكهول البيض السادة فقال امّا ان تقومين الىّ وامّا ان اقوم اليك فقالت ما تحشّمتُ من كراهة جنبات السماوة ابعدُ ممّا بينى وبينك ثمّ قامت اليه فاجلست الى
٨٤ جانبه فمسح رأسها ودعا بالبركة وقال أطرحى عنك خمارك فطرحته ثمّ قال أخلعى درعك فخلعته ثمّ قال حُلّى ازارك فقالت ذاك اليك فحلّه فكانت من احظى نسائه عنده فلمّا كان يوم الدار اهوى رجل الى عثمان بالسيف فالقت نفسها عليه فضرب عجيزتها وكانت من اعظم النساء عجيزةً فقالت اشهد انّك فاسق لم تأتِ غضبًا لله ولا لرسوله فاهوى اليها بالسيف ليضربها فاتّقته بيدها فقطع اصبعين من اصابعها فلمّا قُتل عثمانُ قالت فيه ترثيه

ألا انّ خيرَ الناس بعد نبيّه قتيلُ التّجُوبىّ الذى جاء من مِصْرِ
وما لِىَ لا أبكى وتبكى قرابتى وقد ذهبتْ عنّا فضولُ ابى عَمْرِو

فبعث معاوية بعد ذلك تخطبها فنزعت ثنيّتيها العُليا وقالت أذات عروس هذا فهذا والله حَسَن من وفاء النساء وقد تقدّم ذكر جماعة من اهل الوفاء اللاتى قتلن انفسهنّ فى اثر متعشّقيهنّ اغنى عن كثير من اخبارهنّ، وقد رُوى ايضا عن ابى حَدرد الاسلمىّ قال نشأ

فبينا غلام يقال له عبد الله بن علقمة فعلق جارية منّا يقال لها حُبيشة لم تكن من فخذه وكان يتحدّث اليها كثيرا فخرج ذات يوم من عندها فنظر الى ظبية على رابية فالتفت الى امّه وهو يقول

يا أُمّتي خَبِّريني غيرَ كاذبةٍ وما يريد مَسُولُ الخُبْرِ بالكَذِبِ
حُبَيْشٌ احسن ام ظَبْيٌ برابيةٍ لا بل حُبيشةُ من ظبيٍ ومن ذَهَبِ

ثمّ انصرف من عندها مرّة اخرى فاصابته السماء فانشأ يقول

وما أَدري اذا ابصرتُ يومًا أَصَوْبُ القَطْرِ احسنُ ام حُبَيْشُ
حُبيشةُ والذي خَلَقَ الهدايا على أَنْ ليس عند حُبيشَ عَيْشُ

فلمّا سمع بذلك قومه قالوا لامّه هذا غلام يتيمٌ لا مال عنده وآل تلك يرغبون عنكم فانظري له بعض نساء قومه لعلّه يسلى عنها فزوّجته جارية ذات جمال وكمال وزيّنتها باحسن زينة واقامتها بين يديه فلمّا نظر اليها قال مرعًى ولا كالسعدان فذهبت كلمته مثلا والسعدان نبتٌ يرعاه ابل الملوك فعلموا انّه لا ينصرف عن هواها فتواعدوا حُبيشة وقالوا اذا جاء فأعرضى عنه وتجهّميه باللّام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف فلمّا رآها لم تستطع ان تفعل ما أُمرت به غيرَ انّها جعلت تنظر اليه وتبكى فعلم بقصّتها فانصرف وهو يقول

وما كان حُبّى عن زَوالٍ بَذَلْتُه فليس بمُسْلِيه التجهُّمُ والهَجْرُ
سِوَى أنّ دائى منكِ داءٌ مودّةٍ قديمًا ولم يُمزَجْ كما مُزِجَ الخَمْرُ
وما أَنْسَ مِلْأَشياءِ لا انسَ دمْعَها ونَظْرتها حتّى يُغَيِّبَنى القَبْرُ

ثمّ مكثا على حالهما وطول وجدها الى ان وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغُمَيصاء فأُخذا فيمن أُخذ من الاسرى فأُوثقا رِباطا وهذا حديث مشتهر قد رواه محمّد بن حُمَيد الخراسانىّ عن سلمة بن الفضل عن محمّد بن اسحاق وحكاه المدائنى عن يعقوب بن عُتبة ابن المغيرة الثقفىّ عن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ عن ابى

حدرد الاسلمىّ عن ابيه قال كنتُ يوم الغميصاء وهو يوم بنى جذيمة فى خيل خالد بن الوليد المخزومىّ حين وجّهه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقتل واسر فقال لى فتًى منهم وقد جُمعت يداه الى عنقه ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى هل انت آخذٌ بزمام ناقتى فقائدى الى هؤلاء النسوة فأقضى البهنّ حاجة ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك قلتُ يسير ما سألت فالحقتُه بهنّ فوقف عليهنّ فقال أسلمى حُبيش على نفاد العيش قالت وانت فأسلم سعيت سقاك ربّى الغيث ثمّ قالت وانت فحُبّيتَ عشرًا وسبعًا وترًا وثمانيًا تترًا فقال الفتى

أريتكِ اذ طالبتكم فوجدتكم ... بحلبةَ او ألفيتكم بالخوانق
الم يك حقًّا أن يُنوّل عاشقٌ ... يُكلّف ادلاجَ السُرى والودائق
فلا تَذْنَبَ لى قد قلتُ ان نحن جيرةٌ ... أثيبى بودّ قبل احدى الصفائق
أثيبى بودّ قبل ان يَشْحَطَ النوى ... وينأى عدوٌ بالمحبّ المُفارق
فانّى ما ضيّعتُ سرّ أمانة ... ولا رَاقَ عينى بعد وجهك رائق
على انّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدّ الّا أن يكون التوامُق

ثمّ بكى وبكت ثمّ انشأ يقول

فان يقتلونى يا حُبيشُ فلم يَدَعْ ... هواك لهم منّى سوى غُلّة الصَدْرِ
وانت التى أحلْتِ جلْدى على دَمِى ... وعظْمى وأسبلْتِ الدموعَ على النَحْرِ

ثمّ انصرفتُ به فضربتُ عنقه فنظرتُ اليه فاقبلت حتّى اكبّت عليه، وقد فعلت ايضا مثل ذلك عفراء بنت عقال بعروة بن حزام لمّا بلغها موته استأذنت من زوجها فى زيارة قبره فخرجت فى نسوة لها حتّى وردت قبره فلمّا رأته من بعيد صرخت ثمّ دنت فرمت بنفسها عن راحلتها ثمّ جعلت تبكى وتشهق الى ان خمد صوتها فدنوا منها فوجدوها ميّتة فدفنت الى جانبه، وروى الاصمعىّ ايضا قال خرجتُ اريد بعض احياء العرب فجنّنى الليل وبتُّ فى جبّان وتوسّدتُ قبرًا فسمعتُ فى الليل من القبر قائلا يقول

أنْعَمَ اللهُ بالخَيالَيْنِ عيشًا وبمَسْراكِ يا سُعادُ الَيْنا
وَحْشَةً ما لقيتُ من خَلَلِ القَبْـرِ عَسَى أن أراكِ او ان تَرَيْنا

فأَرقتُ له ليلتى فلمّا اصبحت دخلت لحىّ فاذا بجنازة قد أُقبل بها فسألتُ عنها فقيل هذه سُعادُ كانت تحبّ ابن عمّ لها وانّهما تعاقدا على الوفاء فهلك قبلها فلم تزل تبكى عليه فها هى قد لحقت به فتبعتُهم حتّى دُفنت الى جانب القبر الذى بتُّ عنده واذا هو قبر ابن عمّها فخبّرتهم بما سمعتُ وانصرفتُ، وروى انّ مالك بن عمرو الغسّانىّ تزوّج ابنة عمّ للنعمان بن بَشير الانصارىّ فاحبّ كلّ واحد منهما صاحبه وكان شجاعا بطلا مقداما فعهدت اليه الّا يباشر حربا ثمّ انّه غدا فلقى العدوّ فطُعن فقال وهو يجود بنفسه

الا ليت شعرى عن غَزالٍ تركتُهُ اذا ما أتتْه ميتَتى كيف يَصنَعُ
أيَلبَسُ اثوابَ الحِداد تفجُّعًا على مالكٍ ام فيه للبَعْلِ مَطمَعُ
فلو انّنى كنتُ المؤخّرَ بعده لما بَرِحَتْ نفسى عليه تَقطّعُ

فلمّا اتاها خبره استمسك لسانُها حولا فقال رهطها وعشيرتها الّو زوّجتموها غيره لعلّها تسلَى وتُفيق فزوّجوها رجلا من ابناء الملوك فساق اليها هديّة عظيمة القدر فلمّا كان ليلة بنائه بها اخذت بعضادتَىْ الباب ثمّ انشأت تقول

يقول رجالٌ زوّجُوها لعلّها تُفيقُ وتَرْضَى بعده بخليلِ
فأضمرتُ فى النفس التى ليس بعدهُ رجاءٌ لها والصدقُ أفضلُ قيلِ
ابعد ابن عمرٍو سيّد القوم مالكٍ أُزَفُّ الى زوجٍ بعَضْبٍ كَليلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا خفيفٌ على العلّات غيرُ ثقيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا ضَروبٌ بماضِي الشَفْرَتَيْنِ صَقيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا جَوادٌ بما فى الرَحْل غيرُ بَخيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا ثَوَى وتُنادِى صَحْبُهُ بِرَحيلِ
فما كان يَشْرِينى خَليلي بخُلّةٍ وما كنتُ أَشْرِى مالكًا بخَليلِ

فقال لها بعلها ارجعى الى اهلك ولك كلّ ما سُقتُ اليك مثلك فلتتزوّج الرجال ، ومن حُسنِ وفائهنّ ايضا ما رواه الهيثم بن عدىّ فانّه كان فى بنى عامر بن صعصعة امرأة تُوفّى عنها زوجها ولها ابنا عمّ فصارا الى بعض شيوخهم فقالا له فلانة جارية شابّة والقالةُ الى مثلها سريعة فوجّهْ اليها فلنحضر وأعرِضْ عليها أيّنا اهوى اليها حتّى يتزوّجها فوجّه الشيخ اليها فأتته فعرض عليها مقالتهما فاطرقت مليًّا تنكت الارض حتّى حفرت فيها حفيرةً وملأتها من دموعها وكان زوجها دُفن بمقبرة تُدعى بحَوْضَى فالتفتت الى ابنى عمّها وانشأت تقول

فإن تسعلانى عن هواىَ فانّه رهينٌ بحَوضَى أيُّها الفَتَيانِ
وإن تسعلانى عن هواىَ فانّه رهينٌ له بالحُبّ يا رَجُلانِ
وانّى لأَسْتَحْيِيه والموتُ دونَنا كما كنتُ أستحييه حين يَرانِى
أُهابُكَ اجلالاً وإن كنتَ فى الثَرَى لوجهك يومًا ان يَسُوءَكَ مَكانِى

وقامت فانصرفت فقال قد رأيتما وسمعتما فانصرفا وقد يَئِسا ثمّ لقياها يومًا فى المقابر وعليها مُصبَّغات وحُلِىٌّ وحُلَلٌ فقال احدهما لصاحبه ما ترى فى اىّ زىٍّ خرجت والله ما اراها الّا متعرّضةً للرجال هلمّ فلننظر ما تصنع فقربا منها فأتت القبر فالتزمته ثمّ انشأت تقول

يا صاحبَ القبر يا مَن كان يُؤنِسُنى وكان يُحسِنُ فى الدنيا مُؤاتاتِى
أَزُورُ قَبْرَكَ فى حَلْىٍ وفى حُلَلٍ كانّنى لستُ من اهلِ المُصيباتِ
اتيتُ ما كنتَ من قُرْبى تُحِبُّ وما قد كان يُلْهِيكَ فى ألوانِ لَذّاتِى
ومَن يَرانى يرى عَبْرَى مُفَجَّعَةً طويلةَ الحُزنِ فى زُوّارِ أمواتِ

ثمّ شهقت فماتت ، ومثل هذا واشباهه من الوفاء قليل فى النساء وهو من وفائهنّ عَجَبٌ والغدر عليهنّ اغلب اذ على ذلك طُبِع خُلُقُهنّ وعليه جُعلت بِنْيَتُهنّ وسأصف لك جملةً من مكرهنّ لتقف به على غدرهنّ ان شاء الله ولا قوّة الّا بالله ☆

٨٩

آخر الجزء الأوّل من كتاب الموشّى
من أجزاء ابى الطيّب بن الوشّاء
والحمد لله كثيرًا وصلواته على محمّد نبيّه وآله وسلامه
وحسبى الله ونعم الوكيل
يتلوه الجزء الثانى من كتاب الموشّى